

الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية

الدكتور
أحمد عبد العزيز دراج
أستاذ علم اللغة المشارك
كلية الآداب للبنات - الرياض
وكلية الآداب - جامعة القاهرة

مكتبة الرشد
ناشرون

الاتجاهات المعاصرة

في

تطور دراسة العلوم اللغوية

دكتور/ أحمد عبد العزيز دراج

أستاذ علم اللغة المشارك

كلية الآداب للبنات — الرياض

وكلية الآداب — جامعة القاهرة

مكتبة الرشد

ناشرون

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

دراج ، أحمد عبد العزيز
الاتجاهات المعاصرة في تطوير دراسة العلوم اللغوية – أحمد عبد العزيز دراج . الرياض ، ١٤٢٤هـ
ص ، ١٧ × ٢٤سم
ردمك :
١ –
ديوي ٥١٥ ١٤٢٤/١٨٤٦

رقم الإيداع :
ردمك :

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

☆ مكتبة الرشد ناشرون ☆

المملكة العربية السعودية – الرياض – شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص . ب ، ١٧٥٢٢ – الرياض ١١٤٩٤ – هاتف ، ٤٥٩٣٤٥١ – فاكس ٤٥٧٣٣٨١
E-mall : alrushd@alrushdrh.com
www. rushd.com

الرياض : فرع طريق الملك فهد – قرب وزارة البلدية والقروية هاتف : ٢٠٥١٨٣٠
فرع مكة المكرمة : شارع الطائف مقابل مستشفى علوي التونسي : هاتف : ٠١-٥٥٨٤٠١-٥٥٨٣٥٠٦
فرع المدينة المنورة : شارع أبي ذر الغفاري : هاتف : ٨٣٤٠٦٠٠
فرع جدة : مقابل ميدان الطائرة : هاتف : ٦٧٧٦٣٣١
فرع القصيم : بريدة – طريق المدينة : هاتف : ٣٢٤٢٢١٤
فرع أبها : شارع الملك فيصل : هاتف : ٢٣١٧٣٠٧
فرع الدمام : شارع ابن خلدون : هاتف : ٨٢٨٢١٧٥

وكلاء في الخارج

الكويت : مكتبة الرشد – حولي : هاتف : ٢٦١٢٣٤٧
القاهرة : مكتبة الرشد – مدينة نصر : هاتف : ٢٧٤٤٦٠٥
بيروت : دار ابن حزم : هاتف : ٧٠١٩٧٤
المغرب : الدار البيضاء / مكتبة العلم : هاتف : ٣٠٣٦٠٩
تونس : دار الكتب الشرقية : هاتف : ٨٩٠٨٨٩
اليمن : صنعاء : دار الآثار : هاتف : ٦٠٣٧٥٦
البحرين : مكتبة الغرباء : هاتف : ٩٥٧٨٢٣
الإمارات : الشارقة – مكتبة الصحابة : هاتف : ٥٦٣٣٥٧٥
سوريا : دمشق – دار الفكر : هاتف : ٢٢١١١٦
قطر : مكتبة ابن القيم : هاتف : ٤٨٦٣٥٣٣
الأردن : عمان – دار الفكر : هاتف : ٤٦٥٤٧٦١

قائمة المحتويات

إهداء

إلي أستاذي ومعلمي الذي يصل سخاؤه العلمي إلي كل طلابه في شتي أنحاء المعمورة ، وينتشر شذي خلقه الطيب أينما حللت وأني ارتحلت. إلي

الأستاذ الدكتور/ محمود فهمي حجازي

إليك حيثما تكون باقة شكر وامتنان

مقدمة

علم اللغة

علم موغل في القدم، وليس معلوماً على وجه الدقة متى ؟ ولا أين ؟ وضعت مبادؤه الأولى، ربما ترجع إرهاصاته الأولى إلى نشأة الحضارات القديمة نتيجة لحب الاستطلاع ، ورغبة الإنسان في دراسة الظاهرة اللغوية دراسة نظامية .

وتعد فكرة اختراع رموز كتابية - رغم أنها تكون ملبسة ومضللة في أحوال كثيرة - أعظم عمل لغوى عرفته البشرية ، فقد ساعد اختراع هذه العلامات على حفظ التراث البشرى من الاندثار .

ويبدو جليا أن البحث اللغوي ارتبط - بصورة أو أخرى - بالعقائد والاتجاهات الفكرية والاجتماعية ، فالدراسات اللغوية الهندية قامت قبل ٣٢٠٠عام تقريبا (١٢٠٠ق.م) بغرض فهم وتحليل "الفيدا" ككتاب مقدس بعد أن أصبحت هذه النصوص من القدم بحيث يصعب قراءتها وفهمها بصورة صحيحة، كما اقترنت الدراسات اللغوية العبرية بهدف ديني محض هو فهم لغة التوراة ، وهكذا الأمر بالنسبة للآرامية والسريانية وعلاقتهما بدراسة الأناجيل في الديانة المسيحية، وقامت الدراسات اللغوية اليونانية واللاتينية في كنف الحركة الفكرية بأوربا ، وكانت بداية الدراسات اللغوية العربية لأسباب عدة من أهمها الحفاظ على لغة القرآن من الخطأ واللحن بعد انتشارها في قارات العالم القديم .

ويعني هذا البحث بصفة خاصة بتتبع تطور دراسة العلوم اللغوية منذ أقدم ما وصل إلينا حتى الآن مروراً بالتغيرات التي لحقت هذه الدراسات عبر الزمن .

ورغم توسل البحث بالمنهج التاريخي وأدواته في معالجة تطور الدرس اللغوي ، إلا أنني لم أغفل في الوقت ذاته عرض أهم القضايا والأفكار الأساسية وصفيا ، وحرصت دائما على التوقف بين الحين والآخر لعرض النظريات اللغوية المميزة في علم اللغة وفروعه من أصوات وصرف ونحو ودلالة، وعرجت أحيانا على بعض المسائل والمبادئ الرئيسة عارضا وشارحاً ومحللاً كلما اقتضت الضرورة ذلك ؛ واستعنت أحيانا بعدد من الأمثلة العربية لتقريب وشرح الفروض النظرية الأجنبية التي تتناسب مع العربية .

وأكاد أزعم أن هذه الدراسة تتميز عن الدراسات السابقة بما يأتي:

١- إنها تبدأ من المراحل الباكرة لنشأة علم اللغة في كنف علم الكلام، وتتابع مراحل نمو هذه الدراسة وتطورها وإفادتها من الثورة الصناعية والتكنولوجيا والمعلوماتية .

٢- إن هذه الدراسة لم تقتصر على منطقة بعينها ، وإنما عنيت بعلم اللغة ومناطق تطوير دراساته في الغرب أو الشرق دون تمييز ، انطلاقا من مبدإ عالمية العلم.

٣- إن هذه الدراسة معنية بدرجة ما بالثقافة اللغوية للإنسان العربي ، فضلا عن عرض وتناول النظريات اللغوية بتبسيط - غير مخل - وتفصيل للمتخصصين في الدراسات اللغوية .

هذا ما وددت أن أشير إليه في مقدمة هذا البحث، وأكاد أزعم أن بين دفتي هذا الكتاب مادة يفيد منها الباحثون على اختلاف مشاربهم .

إن علـم اللغة المعاصر ليس منقطع الصلة عن أصوله الأولى ، بل هو تطور تدريجـي وتـراكم معـرفي، فهو محصلة وثمرة للماضي، وفي الوقت نفسه هو دعامة لاغني عنها في بناء صرح العلوم والحضارات البشرية السالفة والآنية والمستقبلة .

مـن هـذه الـنقطة نـنطلق نحـو الهدف المنشود بقوة دفع الماضي ، ويأمل في مستقبل أفضل للدراسات اللغوية تكشف اللثام عما خفي على البشرية من أسرار اللغـة عبر القرون، ورغبة في زيادة الوعي بالذات اللغوية أقدم للقارئ الكريم هذا العمل المتواضع .

والله من وراء القصد

المؤلف

توطئــة :

اللغـة بمفهومها الواسع منظومة بشرية عظيمة الشأن في حياة البشر على مر العصور، وأهم وظائفها تحقيق الوجود الاجتماعي الأمثل له بالتوازي مع ما تحققه المؤسسـة الحـيوية من وجود بيولوجي للإنسان بتكامل الأجهزة المختلفة للجسم – عصبية وتنفسية وهضمية ودورية وغيرها – لخدمة المؤسسة الحيوية الكبرى .

واللغـة كمؤسسـة بيولوجـية عـرفية تـتألف من مجموعة الأجهزة والأنظمة المـتكاملة معـاً ، فهـي تعـتمد في كينونتها على أجهزة بيولوجية كالأجهزة العصبية والتنفسية والعضلية لإنتاج مجموعة أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية .

إن اللغـة بهذا المفهوم الموسع : نظام عرفي مركب ومعقد في آن واحد، تلمحظه ولا تـدرك كنهه إلا بالتحليل إلى نظم مجردة عند المتخصصين ، و اللغة على حد تعبير أحـد اللغـويين المعاصـرين "قـوام الحـياة" وعمادهـا الأول حيث برزت لهم أهميتها في المجـتمع ، والأمـر لايقتصـر علـي هـذا فحسب ، بل إنه لم يعد حكرا على رجال اللغة وحـدهم ، وإنمـا يشـاركهم في الاهـتمام بها أهل الاختصاص في حقول علمية أخرى ذات صلة مباشرة بالإنسان وحاجته في الحياة.

فقـد اهـتم باللغـة علـي المسـتوي العام علماء الاجتماع والأنثروبولوجي وعلمـاء الـنفس والتربـية، والمشـتغلون بوسـائل الاتصال ورجال الإعلام والدعاية... والمهتمون بتعليم اللغات الأجنبية [1] وغيرهـم من علماء الرياضيات والبرمجيات لدرجة جعلـتهم يعتـبرون الجـيل الخـامس حاسبا لغويا بالدرجة الأولى، فهدف هذا الجيل من الحاسبات كسر العزلة اللغوية أملا في السيطرة على سوق المعلوماتية [2].

(١) د/ كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ٢٧
(٢) د/ نبيل علي ، العرب وعصر المعلومات ٣٤٩

أما حد اللغة على المستوى الخاص فهو عند ابن جني إنها أصوات، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] وهو أخصر وأدق تعريف لها وفق آراء اللغويين القدامى والمحدثين [2] جمعت فيه الخصائص الآتية للغة :

أ- الطبيعة الصوتية للغة كمنتج .
ب- الوظيفة الاجتماعية لها ، كوسيلة تعبير وتبادل المعلومات .
حـ- الخصوصية الجغرافية والاجتماعية لكل لغة .

هذه الخصائص أضيفت لها خصائص أخرى لدي المحدثين [3] .

أ- الإبداع في اللغة .ب- ثنائية التركيب (ازدواجية التنظيم)
حـ- التحول اللغوي . د- الانتقال التقليدي .

وقد أضاف "دي سوسير" في تعريفه للغة معنى آخر فضلا عما أثبته ابن جني في تعريفه ، ألا وهو وجود مجموعة من الخبرات الضرورية في أدمغة أفراد المجتمع لتمكينهم من ممارسة ملكة اللغة [4]

بعد هذه التوطئة الموجزة عن اللغة بمفهوميها العام والخاص ، أقترح تناول موضوع البحث وفق التقسيم التالي :

(١) ابن جني ، الخصائص . ٣٤/١
(٢) انظر : مقولة ابن خلدون " اعلم أن اللغة في المتعارف عبارة المتكلم .. (إلى) .بحسب اصطلاحهم - مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ . د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٩ ، د/ عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ٣٧ .
(٣) انظر : مفاهيم الإبداع وثنائية التركيب وغيرها في Noam chomsky , Aspects of the theory .. P 3 , 4 جون ليونز ، نظرية تشومسكى اللغوية " مترجم " ٤٩ : ٥٧ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية " علم اللغة الحديث "..... ٢٩
(٤) ف . دي سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٣٨ ، ٣٩

الفصل الأول

أولاً : علم اللغة (المصطلحات والمفاهيم)

لاغني للفرد في أي لغة من لغات البشر عن استخدام المصطلحات الفنية اقتصاداً للجهد لأنها تدل على أقسام وأصناف"(1) ومحاولة الإنسان تقسيم المفردات وتصنيفها يقوم في الأصل على معايير متفق عليها بين أصحاب التخصص الواحد ؛ ومن أهم شروط اختيار المصطلح أن يكون جامعاً مانعاً في آن واحد .

وقد تنوعت تعريفات المصطلح وحدوده قديماً وحديثاً في كل لغات العالم ، وهذا ما عرضه بإسهاب الدكتور محمود فهمي حجازي وغيره (2)، وأفضل هذه التعريفات وأصدقها عند اللغويين ماتص عليه بقوله "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة ، استقر معناها أو - بالأحرى - استخدامها وحدد بوضوح ، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة ، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة ، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ، ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري" (3) .

انطلاقاً من نص التعريف الذي ارتضيناه للمصطلح ، تبرز مجموعة من السمات الأساسية التي ينبغي توفرها في المصطلح العلمي ، نوجزها على هيئة عناصر في :

أ - الشكل : كلمة مفردة أو عبارة مركبة .

(1) Halliday , M. and other , The linguistic Science P . 7

(2) انظر بالتفصيل : د/ محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٨، د/ عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ٣٧، إدريس نقوري ، مدخل إلى علم الاصطلاح ١٣ ، ١٤ وما بعدهما .

(3) المصدر السابق ١٢ ، وانظر : د/ عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية ١٢٢.

ب- النوع : متخصص محدد الدلالة .

جـ- الحالة : تعني الاستقرار في المجتمع أو بين أفراد التخصص الواحد ، وصار مألوف الاستخدام .

د - الوضوح : ينبغي أن يحقق أقصى درجات الوضوح ، وله ما يقابله في اللغات الأخرى .

يتبين لنا عند تطبيق هذه السمات على مصطلح "علم اللغة" ومقابله في اللغات الأخرى ([1]) أنه قد مر بعدد من التحولات في البنية والمفهوم، فكل مصطلح جديد يؤثر على المصطلح أو المصطلحات الأقدم من جهة المفهوم، لأنهما لا يستخدمان بدلالة واحدة في وقت واحد بتخصيص ما وفق رأى "كريستال" ([2]) .

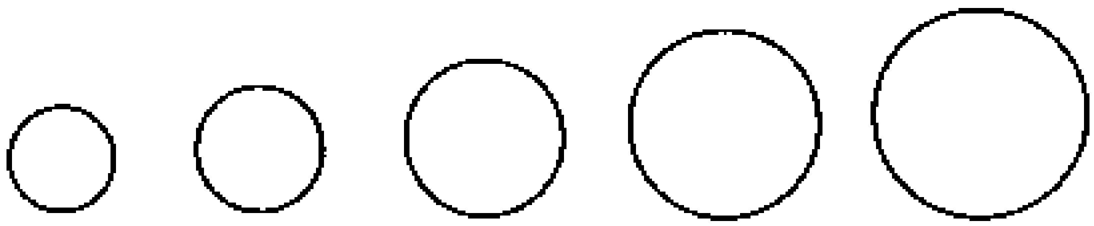
فمفهوم مصطلح علم اللغة بدلالته ومجالاته المعاصرة لم يظهر ببنيته ومفهومة في مرحلة زمنية واحدة ، وإنما ظهر على فترات ومراحل تدريجية ، نتيجة تعدد المصطلحات وتداخل المفاهيم ، كما يحدث -علي سبيل المثال – عادة إذا كان هناك شيئان بحجمين مختلفين ، فإننا نطلق على أحدهما صغير وعلى الآخر كبير ، وعند إضافة شيء أو أكثر بأحجام أخرى إلي الحجمين السابقين، فهذا يستوجب إعادة تصنيف الأشياء حسب أحجامها مرة أخرى ، لاختلاف مفهوم الكبر والصغر وفقا للتغيرات الجديدة ، حسب ما هو موضح بالشكل التالي :

(١) في الإنجليزية linguistics وفي الفرنسية linguistque ، وفي الألمانية Sprachwissenschaft ، وفي العبرية

(٢) Crystal, A. Linguistics P. 91

الحالة الأولي





الحلة الثانية

فالدوائر المختلفة الأحجام لا يمكن قصر تصنيفها بين كبير وصغير فحسب كما في الحالة الأولي، وإنما حسب النسب التي استجدت بينها كما في الحالة الثانية . وبناء على ذلك سنتناول هذه المصطلحات وتطورها تاريخيا من الأقدم للأحدث، أو حسب المعنى إذا اقتضت الضرورة .

١/أولاً: علم النحو Grammatikos ق ٦ ق.م

لم يكن لهذا المصطلح في الحضارة اليونانية معنى أكثر من فهم الحروف ، كما يشير إلى ذلك استخدام لفظ Grammatikos للشخص الذي يفهم ويستعمل (يقرأ ويكتب) الحروف حتى ظهور أفلاطون وأرسطو، ثم تطور معنى المصطلح على يد الأجيال التالية ليدخل فيه بعض موضوعات علم اللغة بالمفهوم المعاصر .

أما قبل ذلك فقد كانت المسائل اللغوية تعالج تحت عنوان Philosophia (١) الفلسفة مع بقية المعارف الإنسانية الأخرى .

والنحو لغة هو القصد والطريق والجهة، والجمع: أنحاء .

وفي الحضارة العربية يؤرخ لظهور مصطلح النحو في القرن الثاني الهجري ، وكان المصطلح يقصد به تحليل بنية اللغة العربية ؛ وتأسيسا علي ذلك صنف كتاب سيبويه بأنه كتاب في النحو ، وهو بهذا المفهوم أيضا يضم مجموعة من الدراسات التي تصنف ضمن موضوعات علم اللغة الحديث (٢) .

بعد ذلك انحرفت دلالة مصطلح النحو في العربية شيئا فشيئا حتى وصلت إلى مفهوم : العلم الذي يعنى بأواخر الكلم من إعراب وبناء ، وصارت حركات الإعراب والعامل والقياس من أهم دعائم علم النحو ، بما في ذلك قضايا الاشتقاق وما حولها من المسائل الصرفية ، ثم انفصل مفهوم "النحو" عن الصرف حتى صار مفهوم علم النحو هو : العلم الذي يعالج قضايا ترتيب وتنظيم عناصر الجملة ووظائفها وهو يختلف عن مفهومه عند غيرهم.

فمفهوم "النحو" عند أنصار المدرسة التوليدية هو : العلم الذي يتناول وصف الجملة السليمة في اللغة مع تحليلها . وأطرف ما قيل عن النحو فـ "إنه إبداع" (٣)

(١) "لمزيد من التفصيل انظر : د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٩ ر . هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة" مترجم ٣٨ .

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٥٩ ، ٦٠ : ٦٢ وانظر مفهوم مصطلح النحو عند ابن جني ، الخصائص ٢٥/١ " هو انتحاء سمت كلام العرب ، في تصرفه من إعراب ... كالتثنية ... والتركيب وغير ذلك.، استخدم المغاربة مصطلح "علم العربية" بمعنى النحو" في بعض مؤلفاتهم انظر : الممتع لابن عصفور ٢٧/١ .

(٣) د . مصطفى ناصف ، النحو والشعر مجلة فصول ع ٢ / ١٩٨١

وفـي اللغـات الأوربـية اسـتخدم مصـطلح Grammatik , Grammar لمفهوم العلم الذي يعنى بالقواعد المنظمة للغة كنظام تعبير فعال حسب دي سوسير (1). وهو يشبه إلى حد بعيد القواعد المنظمة للمرور في كل بلد على حده.

أمـا الــ Syntax ((سنتاكس)) فيقصد به دراسة القوانين المنظمة لتركيب العبارات والجمـل نحـويا أي أنـه علـم التركـيب ، والـنحو يشمل علمي التركيب والصرف.

وهــناك تعـريف آخـر لـــ Syntax ((سنتاكس)) أرى أنه أكثر دقة : هو العلم الذي يتكون من مجموعة من نماذج الجمل في لغة ما من اللغات .

٢/ أولاً : علم أصول النحو

اسـتخدم هـذا المصـطلح في الـثقافة الإسـلامية للعلم الذي يبحث في أدلة النحو ، والأسس المنهجية للتحليل النحوي ، وأول من استخدم هذا المصطلح هو "أبـو بكـر محمـد بـن السراج ت ٣١٦ هـ" في كتابه : الأصول في النحو ، وقصد به علم استخراج الحكمة من كلام العرب (2) وقد نص "الأنباري" على استقلال علم أصـول الـنحو عـن اللغة والنحو والتصريف والعروض وغيرها ، ثم استخدم هذا المصـطلح في كـتب أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر "كتاب الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي" (3) .

(١) دي سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢٣٢

(٢) ابن السراج ، الأصول في النحو ٣٥/١

(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ١٥ وانظر : أصول النحو عند د/ حلمي خليل ، علم اللغة البنيوي ٢٢

٣/ أولاً : العربية / علم العربية .

هـو أحـد المصطلحات التي شاع استخدامها بمعنى : النحو ، ويبدو أنه كان متداولاً بـين الـنحاة القدامى ، فقد ذكره ابن جنى (١) في كتابه "اللمع في العربية" ، وهـو لا يشـمل إلا أبـواب الـنحو غالباً . وذكر صاحب الفهرست في موضوع فن ابتداء الكلام في النحو ... "كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية" (٢) .

واسـتخدم ابن فارس مصطلح "علم العربية" بمعنى النحو أيضاً (٣) واستنتج الدكـتور محمـود فهمـي حجـازي (٤) أن المشارقة استخدموا المصطلحين معاً بمعنى الـنحو ، وهـذا يمـثل ظاهـرة منفـردة ، بيـنما فضل الأندلسيون والمغاربة استخدام مصطلح "علم العربية".

٤/ أولاً : معاني النحو .

مصـطلح مـتداول في الـثقافة الإسـلامية ، ونسب إلى أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) مقـولة : إن معانـي النحو متقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحـروف في مواضـعها المقتضـية لهـا ، وبـين تألـيف الكـلام بالتقديم والتأخير ..." (٥) وأصـبح مصـطلح "معانـي الـنحو" بعد ذلك نواة لما يسمى بعلم المعاني ، وهو قسم من أقسام علم البلاغة التي تعنى بالعلاقات بين الكلمات في أنساق الجمل .

٥/ أولاً : اللغة

اسـتخدم مصـطلح "اللغة" عند الخليل وسيبويه بمعنى اللهجة مثل لغة هذيل

(١) د/ ابن جنى ، اللمع في العربية ٢٢
(٢) ابن النديم ، الفهرست ٥٩
(٣) انظر : ابن فارس ، الصاحبي في اللغة ٥٥
(٤) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٢
(٥) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ١٣

ولغة تميم ولغة عقيل واقترن مصطلح "اللغة ، لغوي" بكل عمل يقصد به جمع مفردات اللغة وتصنيفها حسب معانيها أو دلالاتها ، وعُدَّ كل من قام بهذا العمل في عداد اللغويين ، ولذلك فرق "ابن الأنباري" بين العمل بالعربية والعمل باللغة في النص ...... هو العلم المشهور في علم القراءة واللغة والعربية (١) ومن ثم فإن قضية الفصل بين مصطلح النحو (أو العربية) ومصطلح اللغة كانت واضحة تماماً في أذهان علماء العربية (٢) ووجد هذا التمييز صداه في كتب الطبقات ، فالخليل صاحب معجم العين ، والأصمعي صاحب الرسائل اللغوية وأبو عبيده وابن دريد والأزهري وغيرهم يعدون من اللغويين لأنهم ألفوا في المفردات ودلالاتها .

٦/ أولاً: فقه اللغة Philology (٣)

يؤرخ لظهور مصطلح Philology في الدراسات اللغوية اليونانية بأوائل القرن الأول قبل الميلاد، بعد انتقال مركز العلم من المدرسة الرواقية (٤) إلى مدرسة الإسكندرية، وعرف هذا المصطلح قديما باسم "علم النصوص" وهو يتناول تحقيق المخطوطات وفك رموز الكتابات والنقوش القديمة ومعالجة نصوصها وخاصة النقاط الصعبة فيها ، ولكن التوسع في استخدام هذا المصطلح يعزى إلى

(١) ابن الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٢٤ ، وانظر د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٥

(٢) انظر هذه المسألة في : السيوطي ، المزهر في علم اللغة ١/ ٥٩ .

(٣) يتكون هذا المصطلح من كلمتين يونانيتين هما: Philos بمعنى "حب" ، Logos بمعنى "درس/ علم" واستخدم اللفظ في الإنجليزية بمعنى " دراسة التراث القديم في أوائل القرن الرابع عشر - انظر Ebster's, Encyclopedic. P1081,843 وانظر Logos بمعنى: المنطق، العقل ، الحكمة في اللغة اليونانية د/ محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة ٥١ .

(٤) كان مركزها في مدينة "برجاموم" وسيطر على هذه المدرسة أصحاب مذهب الشذوذ اللغوي، بينما اشتهرت مدرسة الإسكندرية بالمذهب القياسي انظر ر.هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة ٤٨

الحركة العلمية التي ظهرت في القرن الثامن عشر على يد فريدريك أوجست" "Friedrich August wolf" (١) .

ولا يقتصر مفهوم هذا المصطلح علي دراسة اللغة في رأى ماريو باى (٢) بل يضم إلى جانبها دراسة الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي ، ومن جهة أخرى نوه الدكتور محمود فهمي حجازي (٣) إلى أن الباحثين الألمان ميزوا منذ القرن التاسع عشر بين العمل الفيلولوجي ومصطلحه Philologie وعلم اللغة الذي يستخدم له المصطلح "Sprach wissenschaft" وأيد في الوقت نفسه خروج العمل الفيلولوجي عن علم اللغة، وبمعنى آخر يُعد هذا العلم أساساً لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تعتمد على النصوص .

وترسيخاً لهذا المصطلح استعارته المدرسة المقارنة في علم اللغة ضمن المصطلح المركب "Comparative Philology" لمفهوم الدراسات التي تبحث في علاقة كل لغة من أسرة ما ببقية أفرع هذه الأسرة في إطار الاهتمام بالنصوص القديمة تاريخيا (٤) ، وكانت هذه البحوث بالطبع نتيجة الكشوف الأثرية التي تحققت في تلك الفترة بالنسبة للغة السنسكريتية وعلاقتها بالأسرة الهندوأوربية ، واكتشاف اللغة الأكادية والأوجارتية وعلاقتهما بأسرة اللغات السامية، فضلاً عن النقوش العربية الجنوبية التي اكتشفت خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ومقارنتها باللغات السامية الأخرى كالعربية (الشمالية) والعبرية

(١) Lyons, Introduction to theoerical ling. P. 8 : 10 . (انظر : د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٩ : ٦١
(٢) ماريو باى " أسس علم اللغة " مترجم . ٣٥
(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٣٣
(٤) المصدر السابق ٣٣

والآرامية (وفروعها) والحبشية وغيرها .

وبمقارنة المصطلح الغربي Philology بالمصطلح الذي يرادفه في العربية نجد أننا بإزاء مصطلحين هما :

أ- فقه اللغة .

ب- علم الفيلولوجي.

ويمثل تناول مفهوم مصطلح فقه اللغة إشكالية موضوعية بسبب تداخل مفهومه مع مفاهيم أخرى ، ومن ثم ينبغي الفصل والتمييز بين هذه المفاهيم .

الأول /٦ : المفهوم القديم لفقه اللغة :

مما لاشك فيه أن ظهور المصطلح لأول مرة يرجع إلى ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة ، ثم وجد المصطلح ذاته عنوانا لكتاب الثعالبي فقه اللغة وسر العربية كما أكد المحدثون (1) ذلك بالنصوص المقتبسة من الكتابين ؛ ثم ذكره ابن خلدون وغيره .

إذن . هل اتفقت تلك الكتب حول مفهوم المصطلح ؟

نستخلص مما عرض في متون الكتب قديمها وحديثها أن مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس (٢) قصد به : العلم الذي يتناول القضايا والقوانين التي تخضع لها الاستعمالات اللغوية والكشف عن خصائصها ؛ أما مفهوم المصطلح عند الثعالبي

---

(١) د/ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٤٢ : ٥١ ، د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٥ : ٦٦ د/ محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ١٨٠ : ١٨٢

(٢) انظر : ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ١٢ : ٢٠٧

فقد اقتصر على دراسة الألفاظ وفق تعبير الدكتور عبده الراجحي [1] وهذا ما أرجحه ، بينما ذهب أستاذي الدكتور محمود فهمي حجازي إلى أن موضوع فقه اللغة عند كليهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها ، وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات وما يتعلق بذلك من دراسات [2] .

وأرى أن المفهوم الذي عبر عنه الدكتور محمود فهمي حجازي يصدق على القسم الأول فقط من كتاب فقه اللغة..... للثعالبي، وأرجح أن استخدام ابن خلدون [3] لمصطلح فقه اللغة تحت عنوان علم اللغة قصد به ، معرفة الفروق بين الألفاظ المختلفة لفظا والمتفقة معنى، ومعرفة المترادف والمشترك منها .

ومصطلح فقه اللغة بمفاهيمه التي طرحت من قبل لا تتطابق مع مفهوم الفيلولوجيا في الغرب . ويبدو لي أن ما استخلصه الدكتور عبده الراجحي ([4]) من المقارنة بين موضوعات كل منهما أصابت عين الحقيقة، حيث يرى أن موضوعات فقه اللغة عند قدامى اللغويين لا تخرج عن الموضوعات التي يتناولها علم اللغة كالعناية بالتركيب والعلاقة بين الوحدات اللغوية التي طرحها ابن فارس ، وإن اختلفت مناهج دراسة علم اللغة بين العربية واللغات الأوربية .

الثاني/٦ : المفهوم الحديث لفقه اللغة .

ظل استخدام مصطلح فقه اللغة بمفهومه القديم مستخدما في الدراسات اللغوية حتى أوائل القرن العشرين ، وعندما استقدمت الجامعات العربية بعض

(١) د/ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٥١

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٦

(٣) راجع نص (ابن خلدون في مقدمته ٥٤٩) والذي يبدأ ب ... واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ...

(٤) د/ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٥٦

المستشرقين للتدريس في كليات الآداب بدأ البحث عن مصطلح مقابل للمصطلح الأوربي "Philology"، وفي هذا الوقت بالذات ، كان المصطلح المذكور يمر بحالة من عدم الاستقرار ، عبر عنها الدكتور علي عبد الواحد وافي بقوله "بقي من البحوث اللغوية ما يسمونه "الفيلولوجيا Philologie وهو بحث غير محدد النطاق ولا متميز الحدود ، وذلك أن مدلول هذه الكلمة قد اختلف كثيرا باختلاف العصور وباختلاف الأمم ، ولا يزال العلماء يختلفون في فهمها وإطلاقها . (1)

فمسألة اختلاف مفهومها لاشك فيه ، وتتنازعه الموضوعات التالية :

أ- دراسة قواعد لغة ما صرفا ونحواً ونقداً لنصوصها وتاريخ أدبها .

ب- دراسة الحياة العقلية لمجتمع ما أو مجتمعات متعددة .

جـ- دراسة القوانين اللغوية، ومسر تطورها، ومقابلة اللغات في النحو والصرف والبلاغة، أي أنه يتضمن تاريخ الأدب والفلسفة والأديان.. وهلم جراً .

من هذه المنطلقات التي يتداخل فيها فقه اللغة بمعناه ومفهومه التراثيين مع علم اللغة في مفاهيمه من جانب آخر ، تراءى لبعض الباحثين آن ذاك أن أفضل مصطلح يقابل "الفيلولوجي" هو : فقه اللغة . ولذا نجد أن الدكتور علي عبد الواحد وافي وغيره (2) قد ساووا بين فقه اللغة من ناحية وعلم اللغة من ناحية أخرى لوجود بعض أوجه التشابه في الموضوعات التي يعالجها كل علم منهما .

وفي رأي الدكتور تمام حسان (3) يعد فقه اللغة أقرب في موضوعه إلي الفيلولوجيا منه إلى علم اللغة ، أما الدكتور محمود فهمي حجازي فيرى أن "العمل

(1) د/ علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة 14

(2) انظر : د/ محمد المبارك ، فقه اللغة 39 ، د/ رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية 10

(3) انظر : د/ تمام حسان ، الأصول 267 وما بعدها

الفيلولوجي يعتبر أساساً لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تعنى بتفسير النصوص وتحليل معانيها"[1]

يتضح مما سبق أن مصطلح "فقه اللغة" كان إلى عهد قريب – لدى كثير من الباحثين العرب – وما زال عند جماعة من الباحثين يعني مجموعة الدراسات اللغوية دون تمييز بينه وبين مصطلح "علم اللغة"، وأظن أنه لم يعد مقبولا استمرار هذا التداخل المفاهيمي والمصطلحي بعد أن استقر مفهوم ومصطلح علم اللغة في الشرق والغرب، كما سنوضح فيما بعد.

٢/ أولا : علم اللغة Linguistics

لم يحظ مصطلح Linguistics – بمعنى علم اللغة – بالاستقرار في الدراسات اللغوية الغربية، إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ([2])؛ وتظهر الدراسات السابقة في علم اللغة أن المصطلح "Language" قد استخدم بمعنى "اللغة" في الفترة الزمنية التي سبقت استقرار المصطلح ([3]) والمصطلح المقابل لـ "Linguistics" في الألمانية هو Sprachwissenschaft الذي استخدم منذ القرن التاسع عشر حتى الآن، وقد فضل بعض المحدثين الألمان استخدام المصطلح "Linguistik" الأوربي؛ ([4]) ويقابله في الفرنسية Linguistique وفي الأسبانية Lingüística وفي الإيطالية Linguistica وجميع هذه المصطلحات (عدا الألمانية) ترجع في الأصل إلى اللفظ Lingua بمعنى لسان/ لغة في اللاتينية.

وقد أضاف بعض المعاصرين ألفاظا أخرى للمصطلح لتخصيص دلالته،

---

(١) د/ محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية ٣٤

(٢) المصدر السابق "حاشية" ٣٢

(٣) L . Bloomfield , Language , London 1935

(٤) Amirova , und ., Abreiß der geschichte der linguistik. Ins Deutsche üb.1980
Nickel , gerhard. Einführung in die linguistik 1985 .

ومنها General Linguistics بمعنى: علم اللغة العام [1] واستخدم مصطلح Modern Linguistics بمعنى : علم اللغة الحديث [2] للتمييز بينه وبين مفهومه الأقدم .

ولا ينفي تباين الآراء حول تحديد تعريف جامع مانع - بصورة قاطعة - لهذا المصطلح حديثا وجود قدر من الاتفاق حول سمات تتوافر في مفهوم المصطلح أهمها : النظام والدقة والموضوعية .

ويبدو لي أن أخصر تعريفات هذا المصطلح إنه العلم الذي يدرس اللغة في حد ذاتها، ومقصودة لذاتها دراسة علمية" [3] وهذا التعريف يصدق على مفهوم المصطلح "علم اللغة" في العربية حديثا .

أما مصطلح "علم اللغة" الذي استخدم في العربية قديما فله مفاهيم أخرى مغايرة . ويعد ابن خلدون" [4] أول من استخدم هذا المصطلح ، وقصد به علم صناعة المعاجم من تقليب وتصنيف للمفردات ودلالاتها الحقيقية والمجازية ، كما فعل الزمخشري ، ويضم أيضاً العلاقة بين المفردات من جهة المعنى كالترادف والاشتراك والتضاد . ثم ألف "السيوطي" كتابا تضمن بعض هذه الموضوعات وعنونه بـ "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" ،ثم تواتر استخدامه بعد ذلك في كتب المتأخرين والمحدثين .

(١) انظر : د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٤٣ ، د/ رمضان عبد التواب ، فصول في فقه اللغة ١١

(٢) انظر : د/ محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ٢٣

(٣) D . Crystal , Linguistics P . 77

(٤) انظر : ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ٥٤٨ ، ٥٤٩ . ، د/ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٣٧ ، ٣٨

إن علـم اللغة بمفهومه المعاصر يعتمد على اللغة وحدها في تفسير الظواهر اللغوية ، ويعتنى بدراسة التراكيب والمفردات ودلالتها دون تمييز بين لغة وأخرى ، أو لهجـة ولهجـة ، لايهمل اللغة الشفاهية لحساب النصوص المكتوبة ، فهو يتعامل معهما بحياد تام وموضوعية ، ويتوسل بالدقة والشمول .

وبالتـزام هـذه الأسـس العلمية دخل علم اللغة في نطاق العلوم التجريبية لاعتماده على التطبيق ، فوظف المنهج العلمي في بحث مستويات اللغة سواء بسواء لا فـرق بـين قـديم وحـديث . وشملـت هذه الدراسات اللغوية الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

وعلـى حد تعبير دى سوسير فإن "الموضوع الرئيسي لعلم اللغة يتضمن كل مظاهـر الكـلام الإنسـاني سـواء أكـان لأمـم متخلفة أم متحضرة ، أو من اللغات المهجـورة أو الكلاسـيكية" [1] بعيدا عـن مبدأ التمايزالعرقي الذي وضعه فريق من علماء اللغة الأوربيون .

٨/ أولا : علم متن اللغة

هذا المصطلح استخدمه بعض المؤلفين العرب لمعنى دراسة مفردات اللغة ، ونسـب إلى صـاحب شـرح التلخـيص ، والمرصـفي في الوسـيلة الأدبية إلى العلوم العـربية ، وحمـزة فـتح الله في المـواهب الفتحية في علوم العربية [2] فالمصطلح بهذا المفهـوم يـرادف مصـطلح "علـم اللغـة" لأنه يتناول أحد موضوعاته وهي المفردات ومعانيها .

(١) ف . دى سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢٥ ، وانظر بعد ذلك بالتفصيل : د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٢، ٢٣

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٧

٩/ أولا : علم اللسان / علوم اللسان .

نسبت أول محاولة لوضع علوم اللغة في نسق واحد إلى الفارابي ، حيث أطلق عليها "علم اللسان" ، إلا أنه أدخل فيه موضوعات أدبية كدراسة الشعر والنثر ، بينما يرجع استخدام مصطلح "علوم اللسان" لأول مرة بمعنى "علوم اللغة" إلى أبي حيان ، وقصد به : علم اللغة ، وعلم التصريف ، وعلم النحو. ويتناول علم اللغة مفردات الكلم ومعانيها ، ويعالج علم التصريف أحكام المفردات قبل التركيب، ويدرس علم النحو أحكام المفردات عند تركيبها [١]، وهو بهذا المفهوم لم يغادر شيئا من علوم اللغة . أما استخدام ابن خلدون لمصطلح علوم اللسان فقد شمل إلى جانب موضوعات علم اللغة علمي البيان والأدب ، وهما ينتميان للدراسة الأدبية [٢] .

١٠/ أولا: اللسانيات/ الألسنية / الألسنيات [٣]

تراكم في الآونة الأخيرة عدد من المصطلحات المرادفة لمصطلح علم اللغة - وبمفهومه - عند اللغويين العرب في الشام والمغرب العربي [٤] ، أحيانا يطلق مصطلح الألسنية مقترنا بعلم اللغة ، وأحيانا أخرى يطلق المصطلح منفرداً [٥] ووضع مصطلح اللسانيات بمعنى مساوٍ لمعنى علم اللغة عند فريق آخر . [٦] .

---

(١) انظر : المصدر السابق ٦٩ ، ٧٠

(٢) انظر : ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ٥٤٥

(٣) انظر : د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٤٧

(٤) اقصد به : دول الشمال الأفريقي العربية تونس والجزائر والمغرب

(٥) ريمون طحان ، الألسنية العربية - بيروت ١٩٧٢ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث - بيروت ١٩٨٣ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية - بيروت ١٩٨٣

(٦) د/ عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية المغرب ١٩٨٥ ، جفري سامسون ، مدارس اللسانيات التسابق والتطور "ترجمة د/ محمد زياد كبة" السعودية ١٩٩٧

وتشكل مسألة تراكم المصطلحات المترادفة المفهوم إشكالية موضوعية تعيق البحث في أي علم من العلوم ، وتؤدي إلى اللبس والغموض خاصة في الثقافة العربية المثقلة بالمصطلحات الغربية .

١١/ أولا : علوم الأدب

مصطلح عرف عند ابن الأنباري من علماء العربية ، وكان يقصد به مجموعة العلوم اللغوية والأدبية معاً ، أي أنه يشتمل في رأيه على : اللغة والنحو والتصريف وعلم أصول النحو، وعلم الجدل في النحو ، وعلم العروض والقافية ، وعلم صناعة الشعر ، وأخبار العرب .[1] وهكذا أدخل ابن الأنباري العلوم اللغوية تحت مسمى (مصطلح) لا يتضمن معناها، وجعل العلوم اللغوية فرعاً من العلوم الأدبية .

رأي وتعليق :

نستخلص مما سبق عرضه أن مصطلحات علم اللغة ومفاهيمه قد مرت بتغيرات عديدة منذ نشأة علومها حتى الآن، وما زالت هذه المصطلحات والمفاهيم - رغم استقرارها النسبي- عرضة للتطور وفق آليات العصر المتلاحقة . ويمكننا رصد التغيرات السابقة في عدد من النماذج التالية :

١- مصطلحات فلسفية ونحوية تناولت موضوعات علم اللغة في الدراسات القديمة في الغرب والشرق مثل ، Grammatika philosphia، النحو، علم أصول النحو ، معاني النحو .

٢- مصطلحات أدبية ذات مفهوم واسع يضم موضوعات علم اللغة مثل :

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٧٠ ، البحث اللغوى ١٥

Philologie ثـم comparative philology بمعنـى: علم النصوص ، مقارنة النصـوص في اللغـات الأوربـية ، كمـا اسـتخدمت مصـطلحات : علـوم الأدب ، وفقه اللغة أحيانا .

٣- مصـطلحات لغـوية بمفاهـيم ضـيقة لمعالجـة المفـردات ومعانيها ، ثم توسع المفهـوم مـع ثـبات المصـطلحات كمـا في: Linguistics علـم اللغـة. علـم اللسان.

٤- مصـطلحات لغـوية مـرادفة لمصـطلح علـم اللغـة كنتـيجة مباشـرة لترجمة المصـطلح الأوربـي في الشـام والمغرب العربي مثل : الألسـنية ، اللسانيات. ومع ذلك لم يتغير المفهوم بين هذه المصطلحات المترادفة .

بمـا أن الـبحوث المرجعية تعنى بالاتجاهات المعاصرة لموضوع البحث بصفة خاصة ، فإنني سأتناول في عجالة الدراسات اللغوية المبكرة باعتبارها نقطة البداية، ثـم نعرّج على عصر النهضة كمرحلة انتقالية من المبادئ الأولية إلى القرن العشرين لرصـد اتجاهـات الـتطور، فعلـم اللغـة المعاصر ليس اختراعا معزولاً عن الماضي ، وإنما هو امتداد ونتيجة لجهود الأجيال السـابقة .

الفصل الثاني

الدراسات اللغوية القديمة

غالبا ما تكون بدايات أي علم من العلوم مجرد إرهاصات وأفكار بدائية ، ثم تعقبها مراحل التطور ، ونادراً ما تكون بواكير الأعمال ناضجة نسبيا إذا صح التعبير .

فأيهما يصدق على علم اللغة ؟

١ ـ الدراسات اللغوية السومرية [١].

يبدو أن الدراسات اللغوية نشأت لأول مرة في منطقة ما بين النهرين، وتشير الحفائر إلى وجود مجموعة من قوائم مفردات سومرية ومقابلها في اللغة الأكادية , يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد [٢] وهذا العمل يشير إلى البدايات الأولى لفكرة المعاجم التي ظهرت للوجود بعد ذلك بفترات متفاوتة.

٢ ـ الدراسات اللغوية الهندية

يبدو أنه ليس من قبيل الصدفة المحضة أن يكون الشعور الديني هو القاسم المشترك عند الشعوب للحفاظ على لغاتها وصيانتها من سنّة الكون في التغير والتبديل والتطور ، لقد كانت دراسة الهندية الكلاسيكية (السنسكريتية) والعناية بها لوناً من ألوان العبادة للحفاظ على لغة الكتاب المقدس عند الهنود "ريج -فيدا" من تأثيرات الزمن [٣].

(١) في منطقة تسمى الوركاء "آرك". وهو اللغى تنسب لشعب غير سامي ولد آري سكن الجزء الجنوبي من العراق ، وكانت له حضارة زاهرة ولغة رفيعة ، وشتهر الخط الذي كتبت به هذه اللغة بالخط المسماري لأن مفرداته تشبه الأوتاد والمسامير . خلفهم بعد ذلك الأكاديون وهم شعب سامي سكن المنطقة الشمالية أولاً ، ثم أغار على الجزء الجنوبي ، وكانت تسمى أنزاك بلاد ((أكاد)) لمزيد من التفصيل انظر : د . علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ص ٢٥ : ٣٢ .

(٢) جورج سارتون،تاريخ العلم ١٦١/١. T. Jacobson, V.ery ancient Linguistics P.41

(٣) جورج مونين ، تاريخ علم اللغة ٦٤

ومع أن الدراسات اللغوية السنسكريتية لم تكتشف إلا في أواخر القرن الثامن عشر (1)، بعد أن قطعت الدراسات اللغوية الأوربية شوطا كبيرا في هذا المجال، فإن أعمال اللغويين الهنود- وحسب تعبير أحد اللغويين الأوربيين (2) - دراسات منهجية واعية ودقيقة ، وتفوق أي إنجاز تحقق في أوربا سواء في مجال الصوتيات أو القواعد النظرية والتطبيقية أحيانا .

لقد شملت الدراسات الهندية فروع علم اللغة المختلفة من أصوات وصرف ونحو ومعجم ، بالإضافة للدراسات أخرى في فقه اللغة، قبل أن تعالج الدراسات اللغوية الأوربية هذه القضايا بألفي عام تقريبا . وتركت أكثر من اثنتي عشرة مدرسة نحوية تراثا نحويا يربو على ألف مؤلف ، يمثل ذروة هذه الأعمال وأعظمها كتاب بانيني (3) Panini في النحو السنسكريتي . ويعد هذا الكتاب في رأي بلومفيلد: (4) أعظم شاهد على رقي العقل البشري في عصره ، فهو يصف كل ما يتصل بالسنسكريتية وقواعدها بالتفصيل فيما بين عامي ٣٥٠ و٢٥٠ قبل الميلاد ، كما يعالج مسائل الاشتقاق والتصريف والمعجم والتركيب والخصائص النحوية للسنسكريتية بدقة لا تتوفر في دراسات أي لغة أخرى .

(١) أول إشارة عن السنسكريتية جاءت عن طريق البعثات التبشيرية الكاثوليكية في نهاية القرن السادس عشر ، أما بداية اكتشافها كلغة ذات علاقة باللغات الأوربية فكانت على يد السير / وليم جونز ١٧٨٦ انظر : ر . هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) المصدر السابق ٢٢٧

(٣) يسمى هذا الكتاب بـ " Ashtadhyayi " أي : الكتب الثمانية ، وهناك خلاف حول تاريخ تأليفه بين ٦٠٠ ، ٣٠٠ ق . م . يتكون الكتاب من ثمانية أقسام يحتوي كل قسم على أربعة فصول .. ولمزيد من التفصيل انظر : د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٧ (ح) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة "مترجم" ٢٢٨

(٤) L . Bloomfield , language P . 11

المبادئ والأفكار

تناولت كتب النحو السنسكريتي عدداً من القضايا مثل الأصوات والتصريف والإبدال والعدد والجنس، فضلاً عن دراسة اللواحق الأساسية والإضافية (١) .

فالأصوات قسمت إلى دراسة الصوت المفرد من ناحية ، ودراسة المقطع والنبر بصورة مفصلة من ناحية أخرى . كما قسمت الأصوات المفردة إلى: صوائت وأنصاف صوائت وصوامت ، كما صنفت الصوائت إلى طويلة وقصيرة كماً، وقسمت إلى بسيطة مركبة كيفا (٢).

إن المدرسة البانينية تعد – في الواقع – ممثلاً شرعيا للمدارس الهندية الأخرى ، وجامعة لمناهجها في اتجاه واحد ، وقد عرضت في هذه الدراسة أهم المبادئ والأفكار التي نوجزها في:-

أ ـ فكرة الصفر اللغوي:

تعد صيغة الفعل الأصلية المجردة علامة للمذكر، وهي حالة الصفر اللغوي، وتكتسب صيغة الفعل التأنيث وتدل عليه بإضافة موروفيم مميز للجنس (٣) .

ب ـ فكرة الجـذر

يقصد بها أن إلحاق الحركات أو حروف الزيادة بالجذر الأصلي مما يؤدي إلى تنوع الصيغ واختلاف المعاني (٤) وكان لهذه الفكرة أثر كبير في تطور الدراسات الاشتقاقية في اللغات الأوربية، والاعتماد على الملاحظة الدقيقة بدلاً من النظريات الفلسفية.

---

(١) د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٦

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) ويقابل هذه الفكرة في العربية المعادلة التالية: الفعل الماضي + ∅ = مذكر "كتب" الفعل الماضي + تاء = مؤنث "كتبت" ، جورج مونين، تاريخ علم اللغة ٦٩

(٤) جورج مونين، تاريخ علم اللغة ٦٨

يتبين لنا مما سبق أن علم اللغة في التراث الهندي قد عالج جميع جوانب اللغويات التزامنية Synchronic Linguisties "الوصفية" في الأصوات والفونولوجيا والقواعد والدلالة ، رغم أنه يعود في الأصل إلى التغيرات التي لحقت اللغات بمرور الزمن (1) .

أما نتائج هذه الدراسات اللغوية الهندية فتتلخص في:-

أ - كانت جهودهم الصوتية هي الأساس الذي بنى عليه علماء اللغة المحدثون دراساتهم المعاصرة في اللغات الأوربية.

ب - ظهور ملامح المنهج الوصفي (2) في دراسة اللغة لأول مرة قبل أن يؤسس له "ف . دي سوسير".

ج - الاعتماد على اللغة في وصف اللغة وتقعيدها ، كمقدمة لإلغاء القواعد الفلسفية والمنطقية من اللغة.

د - ظهور ملامح المنهج الرياضي في معالجة المسائل اللغوية في إطار دراسة عناصر الجملة، وترتيبها أو العلاقة بينها.

أعلام اللغويين والنحاة الهنود (3)

مع أن "بانيني" يعد أعظم النحاة الهنود على الإطلاق إلا أن هناك علماء آخرون كانت لهم إسهامات كبيرة في علوم اللغة ومنهم:- Bhartrhari . "بهارتر

(1) ر . هـ . روبنز . موجز تاريخ علم اللغة ٢٢٧ ، وانظر رأى ماريوباى . أسس علم اللغة ٢٦٦ في وصف النحو السنسكريتي فيقول "ولكننا لا ندرى ما إذا كان هذا العمل في مجموعه يعد وصفياً Descriptive او معيارياً Prescriptive .

(2) ر . هـ روبنز موجز تاريخ علم اللغة ٢٣٩

(3) د/ أحمد مختار عمر . البحث اللغوي عند العرب ٥٨ ، ٢٤٥.

هاري الذي رأى أن الجملة تعتبر قولاً واحداً غير منقسم، وينتقل معناها في ومضة. كما يعد باتنجالي مع بهارتر هاري من أعظم نحاة الهندية. كما يعد Amara Sinha [1] أماراسنها صاحب معجم Amora Kosa أول من ألف في المعجمات.

٢ ـ الدراسات اللغوية اليونانية واللاتينية.

٢/ أ ـ في اليونانية

ارتبط النحو اليوناني منذ نشأته بالفلاسفة والمبادئ الفلسفية والمنطقية، واقتصرت دراسة اللغة لديهم على النحو في بادئ الأمر.

ويؤرخ لأقدم الدراسات والبحوث النحوية بالقرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وكانت البداية على يد السفسطائيين Sophists ومذهبهم في إخضاع اللغة للقياس، ثم تناول سقراط بعض قضايا اللغة، ثم قام أفلاطون وكراتيلوس بمحاورات لغوية أعقبتها محاورات أفلاطون المتفرقة في المسائل اللغوية، وهو يعد أول من فرق بين الاسم والفعل باعتبارهما العنصران الأساسيان في الجملة Logos، وقسمت الأصوات عنده إلى ثلاثة أقسام : [2].

أولا – أصوات العلة .
ثانيا – أصوات مجهورة .
ثالثا – أصوات مهموسة .

وأقر أرسطو (٣٨٤ : ٣٢٢ ق.م) بعد ذلك تقسيم الكلمة عند أفلاطون وأضاف إليه قسما ثالثا هو : الروابط، التي تؤدى وظيفة نحوية فقط، بخلاف الاسم الذي يدل على معنى اصطلاحي لا يفيده جزء من أجزائه، والفعل الذي يدل

(١) يتناول هذا المعجم المترادفات وبعض كلمات المشترك اللفظي والمذكر والمؤنث والمحايد
(٢) د/ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ٦٠

على حدث وزمن، وينسب إليه نظرية بنية العبارة التي تتكون من مسند ومسند إليه [١] ، وهو بذلك يعد أول من وضع أسس التحليل النحوي .

لقد كان لأرسطو ونظريته تأثيراً غير مسبوق في دراسة اللغة ، فاللغة عنده انعكاس مباشر للفكر ، فهي رمز لما في العقل ، ويتميز الفكر بأسبقيته على اللغة ، وتعد الكتابة رمزاً للكلام ، كما أن الكتابة والألفاظ تختلف بين الجماعات اللغوية ، أما الأشياء القائمة في العالم الخارجي والمعقولات فإنها تكون واحدة عند سائر البشر (تقريبا) . وبالتالي فإن دور اللغة وفق نظرية "أرسطو" ينحصر في كونها ناقلة للمحتوى الذهني المتشابه لدى سائر الناس .

هذه الرؤية الأرسطية لم تواجه تحديا حقيقيا إلا بعد ظهور فرضية النسبية اللغوية Linguistic relativity التي طرحها "سابير وورف" فيما بعد [٢] .

لقد كان للفتوحات المقدونية دوراً غير منكور في انتشار تعليم اليونانية لغير اليونانيين (كلغة أجنبية في الإسكندرية بمصر ، وبرجاموم بآسيا الصغرى) حيث أنشئت الجامعات اليونانية ، وظهرت مدارس فلسفية أكثرها أهمية مدرسة الرواقيين [٣] التي خصّت علم اللغة وقضاياه بدراسات مستقلة داخل الإطار العام للفلسفة ، ولأول مرة يحظى علم اللغة بمعالجة مستقلة، للأصوات والقواعد والاشتقاق .

وبالنسبة لأقسام الكلمة أضاف الرواقيون القسم الرابع والخامس (أي: الأدوات والقرائن) ووضعوا نظرية تركيب الجملة التي تعتمد على تحليل أنواع

(١) جورج مونين ، تاريخ علم اللغة ٩٠ ، وانظر : ماجد فخري ، ارسطو ١٤٤، يقابل المسند والمسند إليه "الموضوع والمحمول"

(٢) د/ محي الدين محسب ، اللغة والفكر والعالم ٢

(٣) Stoics وهي المدرسة التي أسسها زينون ٣٠٠ ق ٠ م ٠

الإسناد في الجملة الفعلية والتمييز بين اللازم والمتعدي من الأفعال ، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول [1] .

وفي القرن الأول قبل الميلاد تحول مركز الدراسات النحوية إلى الإسكندرية التي ينسب إليها "مونين"[2] إرساء قواعد فقه اللغة كمحصلة للاتصال الوثيق بين متحدثي اليونانية وغيرهم من متحدثي اللغات الأخرى من جهة ، ولدراسة الأسلوب الأدبي من ناحية أخرى ، بشرح النصوص القديمة والتعليق عليها ، ومن هنا يتضح أثر أبحاث "المدرسة السكندرية" في لفت الأنظار إلى الفروق بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بتأثير التغيرات المختلفة لمرور الزمن [3] ، ومن ثم فقد فصلت مدرسة الإسكندرية بين النحو وعلمي الفلسفة والمنطق وجعلته علما قائما بذاته ، وخصت الدراسة اللغوية بأفرع منفصلة عن الفلسفة ، وينسب إلى مدرسة الإسكندرية زيادة أقسام الكلام إلى ثمانية ، وقد ربط "ديونسيوس تراكس" بين الأدب والنحو، ويرجع فضل تأليف أول معجم يوناني إلي "أبولونيوس السكندري" Appollonius ، والذي تناول فيه مفردات "هوميروس" – في مسرحيتيه الإلياذة والأوديسا – في عهد أغسطس (ق .ب).

٣/ ب ـ في اللاتينية

فيما يتعلق بجهود العلماء اللاتين، فإن فارو [4] (١١٦-٢٧ ق.م) يعد أول كاتب لاتيني موسوعي يتناول القضايا اللغوية ، وقد غطى في مؤلف مكون من خمسة وعشرين مجلداً المسائل اللغوية ، ومن أهمها : مسائل القياس، والشذوذ .

(١) ر .هـ .روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٤٢ ، ٤٣ ، د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٦٠ ، ٦٣

(٢) جورج مونين ، تاريخ علم اللغة ٩١

(٣) Lyons , Introduction to theoetical ling . P . 8 .

(٤) ر.هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٩٤ : ٩٦

ويظهـر في كـتابه أثـر الأسـلوب الرواقـي ، مع اطلاع واسع على مذهب مدرسة الإسكندرية، ويتميز مؤلفه بتقسيم ثلاثي للدراسات اللغوية، وهو :

(١) الأوتومولوجيا
(٢) الصرف
(٣) النحو

وأهـم الأفكـار الـتي طرحها : إن اللغة نشأت عن قائمة أصلية محدودة من الكلمات الأولـية الـتي فرضـت علـى الأشياء (كرموز لها)، وكانت هذه الكلمات مصدرا لكلمات أخرى .

فالكلمة duellum أصل للكلمة الكلاسيكية bellum بمعنى "حرب" .
والكلمـة hostis كانـت بمعنـي "غـريب" فـيما مضـي، تحول معناها في عصر فارو ، وفي اللاتينية الكلاسيكية والمتأخرة إلي معني "عدو" .

المبادئ والأفكار الرئيسية .
تركـزت الدراسـات اللغـوية اليونانـية مـنذ نشـأتها حول المبادئ والأفكار التالية : [١]

١ـ أصل اللغة :
كانت الدراسة الفلسفية آن ذاك يتقاسمها اتجاهان هما :

أـ **الطبيعيون :** يـرون أن اللغـة ولـيدة الطبـيعة ، وهـى غـير مطـردة تخضـع للسـماع، ولا يقـاس عليها ، ويشكل الاطراد نسبة ضئيلة بالنسبة للشذوذ، ولذلك سمى أصحاب هذا الاتجاه بالشذوذيين "Anomalists".

(١) ماريوباى ، أسس علم اللغة "مترجم" ٢٣٦

ب- **الاتفاقيون:** يرون أن اللغة وليدة الاتفاق بين أعضاء المجتمع، فهي مطردة منتظمة وتخضع للقياس على المطرد [1] وسمى أصحاب هذا الاتجاه بالقياسيين Analogists .

٢- علاقة اللفظ بالمعنى : [2]

ذهب كل فريق إلى رأي مناقض للآخر فيما يتعلق بهذه العلاقة .

أ- **الطبيعيون:** يرون أن هناك علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، أي أنهم يعتقدون في المحاكاة الصوتية Onomatopoeia لمعاني المفردات ، ومن هذا المدخل نشأ البحث في الاشتقاق .

ب- **الاتفاقيون :** ذهبوا إلى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة عرفية رمزية يحددها المجتمع.

٣- فكرة النموذج :

هي فكرة فلسفية تعتمد على القياس لإنشاء النموذج ، الذي يقصد به وضع هيكل معياري لشيء مجرد هو الأصل الذي يقاس عليه الشيء المستخدم : وهو الذي يسمى بالفرع ، فالأصل المجرد هو الجذر الثلاثي للكلمة ووزنه الذي يعدل عنهما إلى الفرع بصور مختلفة .

(١) محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ٩ ، ٥٤ ، د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٩

(٢) انظر بالتفصيل : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ٦٩ : ٨٣ ، ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٤٦ ، أحمد عبد العزيز دراج ، توليد الكلمات من الأصوات المحاكية ٥ .

وقد صاحبت هذه المبادئ والأفكار قضية معرفة أقدم لغة إنسانية شغلت الفلاسفة والنحاة ردحاً من الزمن ، وهي في الواقع قضية تخرج عن الطبيعة العلمية لعلم اللغة حسب مفهومه المعاصر .

٤ ـ الدراسات اللغوية العربية

إذا كانت البحوث اللغوية الهندية قد قامت بغرض الحفاظ على ألفيدا كنص مقدس لدى الهنود ، وللغرض نفسه عند غيرهم من الشعوب ، فإن البحث اللغوي العربي قد نشأ لبواعث متشابكة أهمها الحفاظ على لغة القرآن، وفهم معانيه، والتعرف على أسراره فضلا عن بواعث قومية واجتماعية منها: نضج العقلية العربية، وتفاعلها مع الحضارات الأخرى[١].

ومن الجدير بالذكر أن البحوث النحوية بدأت متأخرة عن جمع المادة اللغوية عند العرب ، على أساس أن النظريات لا توضع إلا بعد فحص المادة اللغوية ، كما نص عليها السيوطي بقوله أعلم أن اللغوى شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه . أما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله النحوي ويقيس عليه ...[٢] - ويؤرخ لبداية البحث النحوي بالقرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي أثر عنه أنه أخذ النحو عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .[٣]

صفوة القول :

إن البحث اللغوي بدأ متأخراً عند العرب (القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي) إذا ما قورن بالأمم الأخرى وفقا للمصادر المتوفرة لدى الباحثين ؛ وقد

(١) د / شوقي ضيف ، المدارس النحوية ١٢

(٢) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ١/٥٩ .

(٣) ونسب آخرون وضعه إلى نصر بن عاصم الدؤلي ، وعند غيرهم إلى : عبد الرحمن بن هرمز . ولمزيد من التفصيل انظر : د/ شوقي ضيف ، المدارس اللغوية ١٣

اعتمد النحاة في وضع قواعد اللغة على القرآن الكريم والشعر العربي في عصور الاحتجاج ، وكلام من يوثق بعربيتهم ، واستخدم اللغويون هذه المواد ومفرداتها في تأليف المعاجم .

لقد نشأ النحو العربي وترعرع في كنف المدرسة البصرية التي ساعد موقعها القريب من مدرسة جنديسابور بإيران على سهولة الاتصال بالثقافات اليونانية والفارسية والهندية، وكان من الطبيعي أن تعنى مدرسة البصرة بما توفر لها من أسباب بالترجمة وعلم الكلام ، الذي يتضح أثره في الأخذ بمبدأي القياس والتعليل . [1]

ورغم أن كتاب سيبويه يعد أقدم كتب علم النحو ، إلا أنه تناول آراء أعلام النحو الأول في المدرسة البصرية مثل: ابن أبي اسحق الحضرمي (ت١١٧ هـ) وتلاميذه : عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ) وأبو العمرو بن العلاء (١٥٤هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) أما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) فقد تتلمذ على كل من عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء.[2] ثم تتلمذ سيبويه على يد الخليل ، ونقل عنه في مواضع كثيرة من الكتاب الذي افتتن به الخلف من علماء العربية فاكتفى معظمهم بالنقل عنه أو شرحه والتعليق عليه.

واشتهر من المدارس النحوية العربية مدرسة الكوفة التي نشأت متأخرة نسبيا عن مدرسة البصرة، ويعد الكسائي (ت ١٩٧ هـ) والفراء (ت٢٠٧) وثعلب (ت ٢٩١) أكثر أسماء الكوفيين شيوعاً في النحو العربي، و مع ذلك لم يصل إلينا كتاب كامل يوضح منهج الكوفيين في التحليل النحوي[3] .

(١) المصدر السابق . ٢١

(٢) انظر : ابن النديم ، الفهرست ٦٠ : ٦٤ د/ تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ١٧٣، ١٧٤ .

(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٨٧

وهناك مدارس نحوية أقل شهرة منها المدرسة البغدادية وأعلامها ابن كيسان والزجاجي والفارسي وابن جنى ، والمدرسة الأندلسية والمصرية [١] .

ورغم الخلاف الواضح والعميق بين المدارس النحوية في بعض القضايا ، إلا أنه يمكن ردها في النهاية إلى اعتماد البصريين على الظواهر المطردة للقياس والتعليل ، واعتماد الكوفيين على السماع والندرة في الشواهد للقياس عليهما .

ومنه مذهب الكوفيين في جواز ترخيم المضاف ، ووقوعه أيضا على آخر المضاف إليه نحو قولهم : ياآل عام (في) آل عامر ، أما البصريون فقد رفضوا إجازته .

وحجة الكوفيين قول زهير ابن أبى سلمى : [٢]

خذوا حظكم ياآل عكرم واحفظوا   أواصرنا والرحم بالغيب تذكر

المقصود : ياآل عكرمة ، فحذف التاء للترخيم.

وقد واكب جهود النحاة في التقعيد مثابرة اللغويين العرب في جمع المفردات ومعانيها من البادية، وتصنيفها في رسائل لغوية، أو في معاجم متنوعة ، واتسمت حركة جمع اللغة بالاختيار والانتقاء.

ومن أعلام اللغويين الأوائل الأصمعي، وأبو زيد، والخليل بن أحمد، وأبو عمر الشيباني، وأبى عبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت ، وغيرهم كثير [٣] .

ولم تقتصر جهود علماء العربية على النحو وتأليف المعاجم والرسائل فحسب، وإنما ضمت إلى جانبها دراسة الأصوات العربية التي يرجع بدايتها إلى

(١) لمزيد من التفصيل . د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٢٤٣ : ٣٦٥
(٢) خزانة الأدب ٣٧٢/١ ، سيبوية ، الكتاب ٣٤٣/١ .
(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٨٨ د/ حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي ٢١

نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) الذي ميز بين الأصوات المتشابهة في القرآن الكريم . [1] ثم تطورت هذه الدراسات على يد الخليل ، الذي تناول تذوق الأصوات ووصفها ، وأثرها في بنية الكلمة من قلب وإبدال ، واشتملت الدراسات النحوية على وصف الأصوات ومخارجها وأثرها، كما نجد عند سيبويه وغيره. وساهم علماء التجويد من جهة أخرى بجهد وافر في دراسة الأصوات كما نجد عند "ابن الجذري" في كتابه "النشر في القراءات العشر". أما دراسة الأصوات بصورة منفصلة ومفصلة فتوجد في متن "سر صناعة الإعراب" لابن جني ، وفي "أسباب حدوث الحروف" لابن سينا .

المبادئ والأفكار الرئيسية : ـ

قامت الدراسات النحوية واللغوية عند العرب على عدد من المبادئ الرئيسية التالية :

١ـ نظرية العامل . [2]

نظرية محورية في النحو العربي، تقوم على أساس أن الحركات الإعرابية في أواخر الكلمات التي في الجملة لابد لها من علة أو سبب يحدثها، هذا المؤثر الذي تنشأ عنه الحركة يسمى العامل، وكما هو واضح من كتاب سيبويه أن واضع أصول نظرية العامل هو الخليل بن أحمد؛ فما من فصل أو باب في الكتاب إلا وفيه مجموعة أحكام من أحكامها. وما لبثت النظرية أن سيطرت على مباحث النحو التالية ، وصارت جزءاً من هيكل النحو .

(١) محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب ٥٥

(٢) انظر : سيبويه ، الكتاب ١٣/١ ، ٤٨ ، ٢٨٠ د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٣٨ : ٤٦ . د/ خليل عمايره ، في التحليل النحوي ٥١ : ٦٦

وتنقسم العوامل إلى :

عوامل لفظية، وهي معظم العوامل ، مثل : المبتدأ الذي يعمل الرفع في الخبر .. وهكذا .

وعوامل معنوية، كالابتداء الذي يعمل الرفع في المبتدأ .

وتشكل العوامل المعنوية وبعض العوامل اللفظية مسألة خلاف بين أنصار المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية .

٢ـ القيـــــــاس :

يعرف القياس بأنه استنباط مجهول من معلوم ، وهو في اللغة معيار الاشتقاق لوضع صيغة كلمة على نسق صيغة أخرى مألوفة في التراث بهدف التوسع اللغوي وزيادة الثروة اللفظية ؛ وينسب إلي ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) بداية التأليف فيه ؛ وكان منهج البصريين جواز القياس على المطرد الشائع فقط ، أما الكوفيون فأجازوا القياس على النادر وأحيانا على الشاهد الواحد ؛ ومن أطرف ما قيل في القياس : إن المضارع أعرب قياسا علي الاسم لشبهه به في الحركات والسكنات ...الخ ؛ ويعرف هذا بالتعسف في القياس.

وقد ساعد القياس على تطور اللغة واستحداث كلمات وصيغ جديدة ومعان جديدة أيضا. والقياس له مفاهيم مختلفة عن مفهومه التقليدي [1].

مثـــــال :

يرى الكوفيون أن القياس يدل على أن "ما" لا تعمل في الخبر مطلقا؛لأن الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة ، كحروف الجر التي تعمل في الأسماء

(١) انظر اختلاف الآراء عند : د/ ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة ٨ ، ٩ د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٥٣٠ د/ رمضان عبد التواب التطور اللغوي ٦٩ : ٧٨

لاختصاصها بها ؛ وحروف الجزم تعمل في الأفعال لاختصاصها بها ، ومن ثم امتنع عمل "ما" ،لأنها تدخل على الأسماء والأفعال والحروف ، وقد أعملها أهل الحجاز لشبهها بـ ليس من ناحية المعنى.

هذا بينما يرى البصريون أنها تعمل النصب في الخبر ، لكونها تشبه ليس في دخولها على الجملة الاسمية ، ولأنها تنفي ما في الحال .

٣ـ العلل :

مبدأ من مبادئ المدارس النحوية ، ويقصد به أن كل ظاهرة نحوية أو حكم لابد له من علة عقلية ، وينسب ظهور هذا المبدأ إلى الخليل ،فهو أول من بسط القول في علل النحو ، أما أقسام العلل فثلاث : تعليمية تفيد أحكام الإعراب ، وقياسية وجدلية تتعلق بالفروض والظنون .

ووفقا لما سبق قسمت العلل درجات : علل أول ، وعلل ثوانٍ ، وعلل ثوالث . [1] وكانت العلل الثواني والثوالث سببا في حمل ابن مضاء على النحو العربي على حد تعبير د/ شوقي ضيف . [2] وترسيخا لمبدأ العلل في النحو خصصت كتب لمعالجتها ، ومن أهم هذه الكتب "الإيضاح في علل النحو" للزجاجي ، "والخصائص" لابن جني .

٤ ـ السماع [3]

يقصد بالسماع في مفهوم علماء العربية نقل المادة اللغوية المسموعة عن

(١) الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ٦٤ ، ٦٥ ابن جني ، الخصائص ١ / ٤٩ : ٩٦ ، ١٤٥ . د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٢ : ٨٥ د/ محمد إبراهيم البنا ، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي ٢٨١ : ٢٨٨

(٢) ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة ٣٥

(٣) ابن جني ، الخصائص ١٠١/١ د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٤٦

القـراء أو علمـاء اللغـة أو الأخـذ ممن يوثق بعربيتهم ، ولذلك كانت البادية ميدانا خصبا لجمع المفردات ومعانيها ، ومن ثم رحل كثير من اللغويين إليها لنيل بغيتهم، وقـد أثـر عـن الكوفـيين التوسـع في السـماع عـن العرب ، بينما اشتهر البصريون بتشددهم في القياس على السماع .

وشـغل علمـاء العـربية بعـدد مـن قضـايا فلسـفة اللغة فضلا عن الأسس والمبادئ السابقة ، وأهم هذه القضايا :

١ـ أصل اللغة : [١]

تمـثل هـذه القضـية إحدى المسائل التي شغل بها علماء اللغة العرب ، أهي تواضع واصطلاح أم توقيف ووحي؟

ومن الواضح أنها انتقلت إلى العربية من الفلسفة اليونانية ، إلا أنها أخذت بعـداً دينياً باختلاف تأويل الآية القرآنية (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) البقرة : ٣١ .

٢ـ العلاقة بين اللفظ والمعني [٢]

هـي المسألة الثانية التي طرحها اللغويون للبحث ، ويقصد بها وجود علاقة بـين الأصـوات والمعاني أو المدلولات ، وكانت هذه الفكرة من الأفكار التي تناولها فلاسفة اليونان والرومان من قبل .

(١) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ٨ ، ابن جني ، الخصائص ٤١/١ ، وبعدها السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ٣٤٦/٢

(٢) انظر : الجاحظ ، الحيوان ١ / ٤٨ ، ابن جني ، الخصائص ٤٧/١ ، ٤٨ ، د/ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ١٤٥ .

تأسيسا على العرض السابق نتفق مع ما ذهب إليه الدكتور أحمد مختار عمر بوجود تأثير يوناني في الفلسفة والمنطق على النحو العربي، ولكنه تأثير غير مباشر عن طريق ترجمة السريان لعلوم اليونان وخاصة في المنطق والفلسفة [1] .

وفيما يتعلق بالعبرية فإن النحو العبري لم يكن قد وُضع بعد في تلك الآونة، وإنما ظهر بعد ذلك كمحصلة لما قدمه علماء العربية من جهود في النحو واللغة [2] .

ويتبين لك لأول وهلة عند النظر في كتب النحو والمعاجم العبرية التي ظهرت في العصور الوسطى أثر النحو العربي والثقافة العربية في التكوين العلمي لنحاة العبرية .

فكتاب "الإجارون" أي : الجامع لسعديا الفيومي أبو النحو العبري"، وكتاب التنقيح الذي يتألف من جزأين هما: الأصول واللمع "لمروان بن جناح وكتاب الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية" شواهد على اقتباس المصطلحات والمفاهيم العربية في النحو مثل " أقل أصول الأسماء والأفعال والحروف " والأفعال ما تدل على زمان أو مستقبل . وحروف المعاني هي ما تدل على معنى في غيرها والأسماء المتصلة التي تأتى على حرف واحد وهى الضمائر ، وكذا مصطلحات الإضافة، والإدغام، والمعرفة والنكرة والاستفهام والحال والخفض والكناية ، وغيرها من المصطلحات .

(١) د/ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، د/ زاكية رشدي ، ٢٧٢، ٢٧٣ .

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٢

أهم نتائج الدراسات اللغوية (عند العرب)

يحسب لعلماء العربية إنجازهم العظيم في بحوث الأصوات اللغوية التي سبقوا بها الأوربيين حتى في العصر الحديث ، هذا ما شهد به اللغويون المحدثون[1]، وأكدته أجهزة تحليل الأصوات وتسجيلها ، ولم يسبقهم إلى إنجاز مواز إلا أسبقية وصف علماء السنسكريتية لأصوات لغتهم . وأهم هذه النتائج هي:[2].

١- وضع أبجدية صوتية حسب مخارج العربية من أقصى الحلق إلى الشفتين على يد الخليل ، ثم عدّله سيبويه ، ووافق ابن جنى سيبويه في معظم ترتيبه وعدد مخارج الأصوات عنده .

٢- وصف العرب أعضاء الكلام وميكانيكية النطق بشكل نظامي .

٣- استطاعوا وصف الأصوات الجزئية للغة العربية بمصطلحات فنية واضحة مثل مصطلحات "مطبق، مفخم، إطباق"

٤- توصل العرب إلى أهمية التحكم في مجرى الهواء لإنتاج الصوت ، وقسمت الأصوات على هذا الأساس إلى شديدة ورخوة ومتوسطة .

إن معالجة علماء العربية للغة يشير إلى تمييزهم بين مستويين من مستويات اللغة ، أحدهما: مستوى القواعد التعليمية ، وثانيهما : مستوى العلاقات التركيبية بين الكلمات وبين الجمل . واعتنى العلماء في المستوى الأول بتتبع الخطأ في الأداء اللغوي وطرق تصويبه، بينما تركزت العناية في المستوى الثاني على علاقة المبنى بالمعنى .

(١) برجشترا سر ، التطور النحوي للغة العربية ١١

(٢) الخليل بن أحمد ، معجم العين ١/٥٢ ، سيبويه، الكتاب ٤/٤٣١ ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ١/٤٥ ، ر . هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ١٧٣ .

الفصل الثالث

الدراسات اللغوية في عصر النهضة

اقتصر الاهتمام في العصور الوسطى على اللغة اللاتينية ، ولم تحدث تغيرات تذكر على العلوم السائدة ومن بينها علم النحو ، وفي أواخر العصور الوسطى كانت العربية والعبرية من اللغات المعترف بها رسميا في جامعة باريس، فدُرّست العربية بوصفها لغة الحضارة الإسلامية الزاهرة آنذاك ، ودرست العبرية لكونها لغة العهد القديم .

في مستهل عصر النهضة ازداد الاهتمام بالكلاسيكيات ، وفي الوقت نفسه لم يعد البحث قاصراً على نحو اللاتينية وحدها ، بل صاحبته عناية بدراسة اللغتين اليونانية والعبرية فضلاً عن لغات أخرى كالفرنسية والأيرلندية ، وصدرت بحوث مختلفة في نحو هذه اللغات .

باختصار لم تتوقف البحوث اللغوية خلال عصر النهضة ، ولكنها كانت في الواقع جهوداً مبعثرة هنا وهناك ، تظهر فيها ملامح المنهج التاريخي والمقارن على استحياء . وتنسب أول محاولة للتعرف على أوجه التشابه بين اللغات إلى دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١م صاحب الكوميديا الإلهية) الذي قارن عدداً من مفردات الأسبانية والإيطالية والفرنسية والبروفانسية ، واستنتج أنها ترجع إلى أصل واحد ، وميّز بدقة بين ثلاث أسر لغوية هي الجرمانية في الشمال، واللاتينية في الجنوب، واليونانية في قسم من أوروبا يلاصق آسيا ، وبالتالي فإنه كان واعيا بالفروق اللغوية [١] .

(١) ر . هـ روبنز ، تاريخ علم اللغة ٢٦٨ ، ٢٦٩

وفي فترة لاحقة ظهرت ملاحظات متفرقة حول تكوين الجهاز الصوتي وعملية الكلام على يد الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩م) وفي نفس الاتجاه اكتشف طبيب متخصص في التشريح (فابريكوس H. Fabricus ١٦٠١ م) الوترين الصوتيين ودورهما في الكلام لأول مرة . بعد ذلك التقت جهود اللغويين مع جهود التجريبيين في مرحلة لاحقة حول قضايا الأصوات اللغوية [1] .

ومن الأعمال الجادة البناءة ما طرحه أصحاب الاتجاه العقلاني في دراسة القواعد (جماعة بورت رويال Port Royal ١٦٠٠م) بنشر كتاب في النحو العقلاني والقواعد العامة أثبتوا فيه أن بنية اللغة هي نتاج العقل ، وأن اختلاف اللغات يقوم على تباين النظام المنطقي والعقلي لأبناء اللغات المختلفة ، كما أعادوا تقسيم أقسام الكلمة التسعة [2] على أساس دلالي .

لقد تضافرت عوامل أخرى مع جهود العلماء إبان عصر النهضة لتكون قوة دفع لسائر العلوم التجريبية والإنسانية ، وأهم هذه العوامل نشاط الاستعمار الأوربي الجديد الذي أقام المحطات التجارية الجديدة في المستوطنات البعيدة، وانتشار البعثات التبشيرية في هذه المستعمرات، مما أدى إلى تنبيه العلماء إلى ثروة من التنوع اللغوي في العالم ، واكتشاف السنسكريتية في الهند ، ثم الأكادية والسومرية والأوجارتية والآرامية وغيرها من اللغات السامية ، واللغات المصرية القديمة في بعض مناطق الشرق الأوسط المتاخمة لمصر .

(١) د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٣ ، ٢٤

(٢) الاسم والأداة والضمير (التصريف الثالث) "والبرتسبل" وحرف الجر والظرف والفعل والرابطة والتعجب . انظر : ر . هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٠٨

وإذا كانت فكرة النموذج المشترك Paradigm التي أدخلها توماس كون[(١)] مما يصح استخدامه في هذا المقام لوصف تطبيق منجزات علم من العلوم على علم آخر ، فإنه يمكن اختيار نموذجين من العلوم التجريبية كان لهما قدر من الفضل على تقدم الدراسات اللغوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهما : [(٢)]

النموذج الأول :

نموذج الفيزياء الميكانيكية التي تربط بين وصف الظواهر اللغوية (صوتية ، صرفية .. الخ) وقوانين القوة والحركة، حيث اقتبس فقهاء اللغة فكرة وصف تبدل الأصوات في اللغة تاريخيا وطبقوها على سلسلة كاملة من الأمثلة ، وهذا ما يصدق على التغيرات التي طرأت على الصوامت في الهندوأوربيه الأولى [(٣)] إلى صوامت أخرى في الألمانية [(٤)] ، وإلى أصوات مغايرة في فروع الهند وأوربية الأولى كاليونانية الكلاسيكية ثم اليونانية الحديثة وغيرها ، ويعرف هذا القانون باسم قانون جريم (Grimm's law) .

النموذج الثاني :

نظرية التطور في علم الأحياء ، والتي بنيت على أساس الانتخاب الطبيعي.

---

(١) احد ابرز فلاسفة العلوم المحدثين ١٦٢ انظر جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور٣

(٢) المصدر السابق ٤ : ٥

(٣) سميت في الإنجليزية بـ Indo - European (١٨١٤م) ، وعند العلماء الألمان بـ Indogermanish "هندو جرمانية (١٨٢٣م) انظر : ر . هـ . روبنز ، تاريخ علم اللغة ٢٧٨

(٤) مثال للتغير في صوامت فروع اللغة الهندو أوربية هي :

الهندو أوربية	الألمانية	اليونانية الكلاسيكية
bh , dh , gh	b , d , g	Ph , th , kh
نفسية مجهورة	انفجارية مجهورة	نفسية مهموسة

ووصلت إلى ذروة نضجها في كتاب أصل الأنواع The Origin of species لدارون، وحيث ذهب مؤيدوها إلى تصنيف علوم اللغة ضمن العلوم الطبيعية. وتقوم هذه النظرية على فكرة الصراع بين اللغات من أجل البقاء ، وتعد اللغات وفق هذه النظرية أصنافاً من الكائنات الطبيعية كالحيوان والنبات .

كانت هذه الدراسات مقدمات فعلية واعدة لتأسيس منهج علم اللغة المقارن كما سنوضح فيما يلي :

١ ـ علم اللغة المقارن

رغم صعوبة تحديد تاريخ معين للدراسات التاريخية والمقارنة في اللغات الهند أوربية، ومع التقدير لمحاولات دانتي وسكاليجرر (١٥٤٠ – ١٦٠٩م) الذي ميز بين إحدى عشرة أسرة لغوية) وليبنز (١٦٤٦ – ١٧١٦م) الذي وضع العبرية بشكل حاسم ضمن أسرة اللغات السامية ([1]) – مفنداً برأيه هذا ما سبق ادعاؤه بأن العبرية لغة التوراة هي أم لغات العالم ، وأنها الأصل الذي تفرعت منه باقي الأسر اللغوية، فإن إعادة اكتشاف اللغة السنسكريتية يمثل منعطفا خطيرا في التحول إلى الدراسة التاريخية والمقارنة للغات الأوربية على مستوى المنهج والنظرية .

إذا كان تقرير قاضي المحكمة الإنجليزية في الهند (السير وليم جونز ١٧٨٦م) [2] يعد نواة علم اللغة التاريخي والمقارن ، فإن جهود العلماء الألمان (أو المدرسة الألمانية)

(١) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٧١ ، ٢٧٢

(٢) جاء في التقرير "اللغة السنسكريتية مهما يكن قدمها ، لغة ذات تركيب عجيب ، وهي أكثر كمالاً من اليونانية ، وأغزر إنتاجا من اللاتينية .... وهي فوق ذلك على قرابة بكل منهما في جذور الأفعال وصور القواعد معاً ، قرابة أقوى من أن تكون نتاجاً للمصادفة ... " لمزيد من التفصيل ر . هـ روبنز ، تاريخ علم اللغة . ٢٢٤

في السنسكريتيات تشكل حجر الزاوية في أساس هذا العلم . فالصلات التاريخية التي أشار إليها "وليم جونز" في تقريره تؤكد تشابه جذور الأفعال وصور التراكيب في هذه الأسرة اللغوية، مما حدا بفريق من الباحثين إلى تتبع أوجه الشبه في البنية الصوتية والصرفية والنحوية .

وأهم رواد علم اللغة التاريخي والمقارن "فردريك شليجل" (F. Schlegel ١٧٧٢ - ١٨٢٩) الذي طرح في كتابه [١] أهمية دراسة البنية الصرفية للغات المفحوصة ، لأنها تحمل في داخلها علاقات وراثية ، وهذا هو الجانب الذي ركزت عليه الدراسات المقارنة المبكرة بين اللاتينية واليونانية بصفة خاصة ، ويرجع من جهة أخرى إلى أن "شليجل" هو الذي وضع مصطلح Vergleichende Grammatik القواعد المقارنة " الذي استخدم بعد ذلك كعنوان لمؤلفات علم اللغة التاريخي والمقارن . وكان يعتقد بأنه قد توصل إلى اللغة النقية والأصيلة لبقية اللغات . [٢]

وعقب ذلك ظهرت أعمال الدنمركي دان راسك Dan R.Rask (١٧٨٧ - ١٨٣٢) الذي يعد أول من كتب في القواعد النظامية للغتين الاسكندنافية والإنجليزية الكلاسيكيتين، ويمثل بحثه في العلاقات الاشتقاقية اتجاها رائداً في مجاله ، وقد اتبع فيه نظام مقارنة صوت ما في لغة معينة بصوت محدد في عدد من الكلمات في لغة أخرى للكشف عن العلاقة بين اللغتين . ونص "راسك" على أن اللغة التي تملك أدق أنواع القواعد هي أكثر اللغات صفاء وأكثرها أصالة ، وهي الأقدم والأقرب للأصل، لأن التصريفات والنهايات تتعرض للتآكل أثناء تطور

(١) نشر في عام ١٨٠٨ م بعنوان On the language and the learning of indians " اللغة والمعرفة الهندية"

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٧

اللغـات الجديـدة، كمـا تـتطلب زمـنا طـويلا ، وقـدراً من الاختلاط مع الشعوب الأخرى لكي تتطور، وتعيد تنظيم نفسها من جديد"(١) .

بعـيدا عـن مناقشـة صحة فرضيات "راسك" فإن أهم ما يميزه أسبقية التوجه نحـو طـرح أفكار ومناهج قابلة للتجريب ومحاولته بناء علم لغة وصفي. وفي نفس الفترة تقريبا تعد أعمال "ولهلم فون هامبولت" Wilhelm von Humbolt (١٧٦٧ - ١٨٣٥م) أكثر عمقا وأصالة في المسائل اللغوية العامة، وله نظرية تؤكد على المقدرة اللغـوية والإبداعـية الكامـنة في عقـل المتكلم والمستمع، فالمقدرة اللغوية عنده تعبر عـن إمكانية جوهرية من إمكانيات العقل البشرى أي ملكة فطرية . ومع ذلك فإنه ظل أسير لفكرة " هردر" التي تؤكد شخصية كل لغة باعتبارها خاصية قومية (٢).

ومـن هـؤلاء الـرواد المعروفين "ياكوب جريم" J. Grime (١٧٨٥-١٨٦٣م) الذي استفاد من أفكار وفرضيات "راسك" في وضع القواعد المنظمة لحالات التوافق الصـوتي بـين اليونانـية والقوطـية والألمانـية القديمـة ، وسميت هذه القواعد قانون جـريم (١٨٢٢م) فقـد وضـع هذه التقابلات الصوتية في جداول ، وفسر التغيرات الصـوتية في اللغات الثلاث تاريخياً (٣) .

ويـرجع الفضـل إلى " جـريم" في وضـع المصطلحات الفنية للجرمانية مثل : Stark شـديد Sehwach رخـو ، Ablaut تـدرج الصائت ، Umlaut تغير الصائت

(١) نص منقول عند " جفري سامسون ، مدارس اللسانيات . ١١

(٢) Robins , A short history of linguistics P. 175 جورج مونين ، تاريخ علم اللغة ١٩٧ ويعرف "هامبولت" بصورة أكثر وضوحاً في علم اللغة بتقسيمه الأنماط اللغوية إلى أنماط ثلاثة : ١ - نمط عازل (كالصينية) ، ٢ - نمط لاصق (جذر + لواحق مثل التركية ، ٣ - نمط متصرف (كاللاتينية) انظر: جفري سامسون، مدارس اللسانيات ١١ ، ١٢ .

(٣) Lyons , Introduction to thearetical ling uistics P. 27

وفقا لشروط سياقية، وقد تبنى في الوقت نفسه تطبيق أفكار "هردر" في مسألة العلاقة بين اللغة والقومية . [١]

وبعد أن تخفف اللغويون الأوربيون من الولع العلمي بالسنسكريتية ، ومن توهم أنها الأصل القديم للغات الأوربية قدم مؤسس علم اللغة المقارن [٢] فرانز بوب F . Bopp (١٧٩١ - ١٨٦٧م) دراسات جادة في مقارنة الأنظمة الصرفية لليونانية واللاتينية والجرمانية والفارسية مع اللغة السنسكريتية ، وحاول من خلال تحليله لما يقدمه من دراسات مقارنة التعرف على ملامح اللغة الأوربية الأولى، كما عرض تفسيراً لظاهرة تناوب الصوائت (العلل) يقوم على أساس تطبيق مكتشفات علم من العلوم على - فرع من - علم اللغة ، وسمي هذا التطبيق بالتفسير الميكانيكي للظاهرة الهندو أوربية .

وعارض "بوب" بشدة الاعتقاد السائد منذ "شليجل" حتى عصره بأن السنسكريتية هي الأصل الأقدم لكل اللغات الأوربية ، ولكنه ذهب إلى أنها أقرب اللغات إلى الهندو أوربية الأولى .

ويعد "بوب" أول من استخدم مصطلح "Lautgesetz" بمعنى "قانون الأصوات" [٣] . وهو في واقع الأمر يتميز بمنهج موضوعي وعلمي بحت .

وظلت الدراسات اللغوية حتى منتصف القرن التاسع عشر تعتمد على النصوص المكتوبة لتحقيق هدفها في ذلك الوقت ، وهو إعادة صياغة البنية النحوية للغة الأصلية .

(١) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٧٩

(٢) سمي آنذاك بالنحو المقارن ١٨٢٧م

(٣) أنظر : جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٥

ومع بداية النصف الثاني (للقرن التاسع عشر) تبين الباحثون أهمية بحث اللهجات الحية في إطار الدراسات المقارنة كوسيلة لفهم الماضي بصفة خاصة، وكان هذا الاتجاه مؤشرا لتطور مناهج البحث نحو العلمية والدقة [١] . فقد تأثرت العلوم اللغوية بمبادئ نظرية "داروين" في أصل الأنواع بعد ظهور كتابه : The origin of species (١٨٥٩م) ، وتمثل هذا الأثر في أعمال أوجست شلايشر "August Schleicher" (١٨٢١ – ١٨٦٨) الذي رأى أن اللغة عبارة عن جهاز عضوي قابل للتطور حتى يصل إلى القمة وهنا تأتي مرحلة الانحدار والموت مثل الكائن الحي تماما . فاللغة بهذا المفهوم جهاز عضوي طبيعي . وهذا الطرح متأثر بدراسته لعلم الأحياء .

إن نظرية شجرة النسب Stammbaumtheorie التي وضعها شلايشر بنيت على أساس وجود علاقات بين لغات الأسرة اللغوية الواحدة ، التي تملك خصائص مشتركة تربطها بأصلها القديم ، ويرى "شلايشر" أن التطور من اللغة الأصلية إلى الفروع الأخرى قد بدأ بمرحلة الانقسام اللهجي، ثم مرحلة النمو ، ثم مرحلة التطور حتى تصل اللغة أخيراً بعد النضج والاكتمال إلى مرحلة الانحلال (الموت) . ويتوازى مع مراحل النمو من جهة أخرى تغير نظام البنية من مرحلة العزل إلى مرحلة الإلصاق إلى مرحلة الاشتقاق ، وهذه المرحلة الأخيرة التي تمثل النضج [٢] .

ونتوقف هنا قليلا لتوضيح مصطلحات :

مرحلة العزل: يقصد بها المرحلة الأولى التي تكون فيها كلمات اللغة مؤلفة من جذر جامد، كما في حالة اللغتين الصينية و الفيتنامية .

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٨

(٢) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ١٢

مرحلة الإلصاق: يقصد بها المرحلة الوسطى التي تحتوى كلمات اللغة فيها على الجذر واللواحق، كما في حالة اللغة التركية .

مرحلة الاشتقاق : وهى التي تكون كل كلمة واحدة متضمنة عددا من المعاني، ويتعذر فصل الجذر المفرد عن الجمع مثلا ورود، وردة .

وتسمى هذه اللغات باللغات التصريفية، وهى تنقسم إلى نوعين :

أ- تركيبية　　　　ب- تحليلية

من هذه اللغات السنسكريتية واليونانية الكلاسيكية واللاتينية، ويمكن انتقال اللغة من تركيبية إلى تحليلية كما في حالة اللاتينية، التي أصبحت لغة تحليلية كما حدث بالنسبة للفرنسية الحديثة .

وبالطبع لم تسلم هذه النظرية من النقد الشديد [1] وربما اللاذع أحيانا ، لما عليها من مآخذ ، إلا أنها تعد في الوقت نفسه نقطة انطلاق لتحول علم اللغة إلى علم دقيق تحكمه قوانين واضحة.

حد النظرية اللغوية :

إنها عبارة عن بناء عقلي يهدف إلى ربط عدد من الظواهر اللغوية بقوانين متناسقة ويحكمها مبدأ التفسير العام .

هناك اعتراضان رئيسيان وجها إلى نظرية شجرة النسب التي طرحها شلايشر ، وهما : [2]

الأول : التمثيل الحرفي لنموذج الشجرة على أنه يماثل الانقسامات

(١) د/ عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٩٢ ، ٢٩٣

اللهجية، رغم عدم توفر معلومات كافية ودقيقة عن الوضع اللهجي للغات التي ماتت .

الثاني : بطلان الانقسامات الأحادية التي أقرتها النظرية ، وانتقدها ج . شميت J. Schmidt ثم طورها في نظريته المسماة بنظرية الموجة "Wellentheorie" والتي رفض فيها انقسام اللغة إلى لهجتين فحسب ، وذهب إلى أنها تتفرع إلى لهجات متداخلة الحدود ، حيث يبدأ التطور من المركز إلى الحدود الفاصلة بين اللهجات فيما يشبه الموجة .

وباحتدام الجدل بين مؤيد ومعارض لمجموعة من أفكار شلايشر في نظريته ، ظهر اتجاه جديد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أسفر عن قيام مدرسة النحاة الشبان (الجدد) –Junggrammatiker [1] . وأهم أعلامها أوجست لسكين A. Leskien وهـ. أوستهوف H. Osthoff ، وكارل بروجمان K . Brugmann ودلبروك Delbriick ، وهرمان بول H. Paul وغيرهم ممن عنوا باللغات الهندو أوربية ، وفريق آخر من العلماء الذين اهتموا باللغات السامية نذكر منهم : تيودور نولدكه Th. Noldeke وكارل بروكلمان K . Brockelmann . وأنوليتمان Litmann ويرجستراسر [2] .

تأسست نظرية النحاة الجدد على العلوم الفيزيائية غير الحية مثل الجيولوجيا والطبيعة كنماذج علمية دقيقة بعكس شلايشر الذي اعتمد على البيولوجيا في تأسيس نظريته .

(١) وسموا أيضا بـ Neogrammarians

(٢) انظر : د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٨ ، ١٢٩

إن أهم الأفكار التي طرحها النحاة الجدد هي الوجود الحقيقي للغة في الفرد نفسه، ومن ثم تعزى إليه جميع التغيرات الصوتية والدلالية ؛ لأنها لا تنشأ إلا في وجود الفرد/ الجماعة . والتغيرات بأنواعها ما هي إلا تغيرات في عادات الأفراد الكلامية .

وإذا كانت اللهجات الأوربية قد وضعت في بؤرة الاهتمام منذ بداية الحركة الرومانسية في أوربا ، فإن للنحاة الجدد الفضل في جعل تلك اللهجات ميدانا خصباً للبحث العلمي ، وتوسيع دائرته جنبا إلى جنب مع علم الصوتيات التاريخي [1] .

والخلاصة حسب تعبير الدكتور محمود فهمي حجازي : إن مدرسة النحويين الشبان أفادت من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية، وحاولت استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي ، وعرفت بالتزامها الصارم بفكرة القوانين الصوتية، وأفادت مدرسة النحويين الشبان في مجال اللغات الشرقية أيضا من الكشوف الأثرية الكثيرة التي تمت في القرن التاسع عشر ، وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة [2] .

ومن ثم تعد اللغات السامية والحامية من حيث درجة الأهمية في الدرجة التي تلي اللغات الهندو أوربية ، التي حظيت بعناية أكبر جعلت النتائج والنظريات التي بنيت عليها أكثر دقة وأغزر مادة نظرا لتوفر النصوص والمواد المسجلة منذ أمد بعيد ، فضلا عن نسبة المتكلمين باللغات الهندو أوربية وأثرهم في الحضارة الإنسانية المعاصرة .

(١) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣٠١

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٩

سمات البحث في القرن التاسع عشر :

كشفت البحوث اللغوية في القرن التاسع عشر النقاب عن بعدين هامين وجوهريين كما يرى الدكتور محمود فهمي حجازي :[1]

الأول : الوعي التاريخي .

اهتم اللغويون بالعلاقة التاريخية بين اللغات ، وظواهرها وأنظمتها وأدى هذا إلى توضيح طبيعة اللغة وحياتها .

الثاني : البحث عن قوانين .

حاول الباحثون وضع هذه النتائج في صورة قوانين دقيقة ، وكان من نتائج ذلك ظهور فكرة القوانين الصوتية .

وأدت الدراسة التاريخية المقارنة إلى استبعاد بعض اللغات من أسرات لغوية ووضعها في مجموعتها الأصلية ، كما حدث بالنسبة للغة العبرية ، وأصبح بالتالي هناك تصنيف دقيق للعائلات اللغوية بناء على رصد الظواهر التركيبية والتقابلات الصوتية والمفردات المتشابهة . وساعدت الكشوف الأثرية على تحقيق النصوص القديمة في اللغات السامية - تأسيسا على ما حققه علم اللغة من تقدم أدوات البحث في اللغات الهندو أوربية على يد جماعة من المستشرقين [2] وفريق من الباحثين العرب .

٢- إرهاصات التجديد في العربية

حقيقة - لم يكتب النجاح لدعوات التجديد في النحو العربي بعد ظهور

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٦ ، ٢٧

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : ماريوباي ، أسس علم اللغة ١٦٨ : ١٧٤

كـتاب سـيبويه ، و إن لـزم التنويه إلى هذه المحاولات التي بدأها ابن جني بقولة: [1] إن العامل هو المتكلم نفسه ، فهو المنفذ لوضع الحركة الإعرابية على أواخر الكلم، وذهــب ابــن مضــاء القـرطبي [2] إلى أبعد من ذلك فرفض نظرية العامل النحوي ، وطالـب بإسـقاط العلـل الثوانـي والـثوالث ، وهي في واقع الأمر دعوة إلى المنهج الوصـفي في معالجـة المسـائل الـنحوية، إلا أنهـا ووجهت بنقد عنيف أحيانا ولاذع أحيانا أخرى .

(١) انظر : ابن جني الخصائص ١/١٠٩ ، ١١٠

(٢) انظر : ابن مضاء ، الرد على النحاة ٨٥ ، ٨٦ ، ١٥١

الفصل الرابع

الدراسات اللغوية في القرن العشرين

رغم الإقرار باستحالة تطابق نقطة التحول في علم اللغة مع بداية القرن العشرين ، إلا أنه ينبغي التنويه إلى أن التطورات التي شهدها لم تكن متقطعة الصلة بأعمال وجهود السابقين خاصة "فيلهلم فون هامبولت" وجماعة النحاة الجدد ، الذين تركوا بصماتهم على أفكار واتجاهات ج رايت J. Wright (انجلترا) وفردناندى سوسير F. De Sauser (سويسرا) وأندريه مارتينيه A. Martinet (فرنسا) بالإضافة إلى مؤسسي علم اللغة الأمريكي إدوارد سابير E. Sapir وفرانز بواس F. Boas وليونارد بلومفيلد L .Bloomfield وغيرهم .

وإذا كانت الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر قد ابتعدت عن التأثيرات الفلسفية وسلكت مسلك علوم الأحياء حينا، والعلوم الطبيعية (الجيولوجيا) حينا آخر ، فإنها قد اعتمدت في القرن العشرين نزعة استقلالية ترى اللغة فيها من خلال النص أي من داخل نفسها .

وتعد مذكرات "فردناندى سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣م) التي لم تنشر إلا بعد وفاته - على يد زملائه [١] وطلابه - نقطة تحول رئيسية من علم اللغة التاريخي Historical Linguistics [٢] إلى علم اللغة الوصفي (أو - التزامني) Synchronic Linguistics [٣] أو مرحلة ما يمكن أن يسمي بالفكر البنيوي .

وقد اعترف "دي سوسير" [٤] صراحة بما أسداه علماء اللغة الأول من فوائد جمة للدراسات اللغوية اللاحقة ، ورغم وجود بعض المفاهيم الزائفة التي طرحت على بساط البحث ؛ ولكنها لم تكن عديمة القيمة .

(١) تشارلز بالي (Charles Baily) وألبرت سيشهي (Albert Sechehaye)
(٢) او Diachronic Linguistics
(٣) وسميت أيضا : Static Linguistics
(٤) ف . دي سوسير ، فصول في فقه اللغة العام ٢٢ : ٢٤

وقبل تناول أفكار "دى سوسير" في كتابه المعروف Course in general linguistics "محاضرات في علم اللغة العام" - وتأثيره على الدراسات اللغوية في أوربا وأمريكا فيما بعد ، مما أدى إلى ظهور نظرية ولا أظنني مبالغا إذا قلت "إنها هيأت المناخ لظهور معظم النظريات اللغوية وغير اللغوية - أود أن أتعرض في عجالة لشخصيتين علميتين كان لهما أكبر الأثر في حفزه وتشجيعه على صياغة أسس نظريته في علم اللغة وهما :

١ - وليم دوايت وايتني W : D . whiteny (١٨٢٧ - ١٨٩٤م)

لغوى أمريكي درس في ألمانيا على يد فرانز بوب ، وتخصص في اللغة السنسكريتية ، ويعد من الرواد الأوائل الذين بحثوا في اللغات الأمريكية - الهندية ، وكان دى سوسير من قرائه المميزين .

ويعد وايتني من علماء المستحاثات اللغوية (علم استخلاص خصائص الوثائق)، فضلا عن كونه أحد علماء المقارنات الأوائل، وله أربعة مؤلفات في علم اللغة العام، ويظهر في كتابة أثر النظرية التجريبية الإنجلو سكسونية .

أهم مقولاته (١)

أ- اللغة واقعة اجتماعية ، وليست واقعة طبيعية أو صفة بيولوجية حسب شلايشر ومولر .

ب- إن الرغبة في الاتصال هي الأصل الذي يكمن فيه كل تاريخ اللغة .

جـ - إن الكلمات بالنسبة لفكر الإنسان مثل الأدوات بالنسبة ليديه .

(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٧ ، ١٨

د- اللغـة رموز لا تتطابق مع الفكر ، كما تتطابق الرموز الرياضية مع المفاهيم والكميات العددية .

هـ - علم اللغة ليس علما طبيعيا ، بل هو علم تاريخي .

ولـ وايـتني مقـولات متعددة تحمل آراءه التي تحتاج إلى دراسة وتفسير، من أهمها [1] .

'اللغـة ، كالجسـم العضوي، فهي ليست تلاصق جزئيات متشابهة ؛ بل هي مجموعة أجزاء يرتبط بعضها ببعض ، ويعاضد بعضها بعضا .

'ليسـت أي أبجديـة (يقصـد الأصوات البسيطة في لغة ما) سديما ، بل هي نظام منسق الألفاظ تحكمه علاقات في كل الاتجاهات' .

'اللغـة في الحقـيقة، نظـام كـبير من البنى المعقدة جداً، والمتوازية ' وهي تقبل تماما المقارنة مع جسم منظم' .

وتظهـر مثاليـته المنهجـية في مقولـته 'لا يـزال علـم اللغة الحقيقي في مرحلة الطفـولة' ومـن ثـم ينبغـي أن يتشكل من خلال التمايز بينه وبين فقه اللغة المقارن، وهما في الواقع وجهان لدراسة واحدة .

٢ ـ إميل دوركايم E . Durkheim **(١٨٥٨ ـ ١٩١٧م)**

عـالم فرنسـي ، و مؤسـس علـم الاجـتماع كعلـم تجريبي ، وصاحـب فكرة 'الحقـيقة الاجتماعـية ' أو بمعنـى آخـر مجمـوعة الأفكـار الموجـودة في عقل الجماعة

(١) المصدر السابق ١٩ - ٢٠ .

الـواحدة كقـوانين أو أعـراف ، وهـي تعـد في رأيـه أشـياء حقيقـية مـثل الظواهـر الطبيعية . والشيء في رأيه هو كل ما يصلح كمادة للمعرفة [١] .

والحقائـق الاجتماعـية وفـق مفهـوم "دوركـايم" هـي مجمـوعة مـن الأفكـار (representation) الموجودة في العقل الجمعي لمجتمع ما، وهي تمثل قوة ضاغطة غير مباشـرة، وفـي كـل مجـتمع مـن المجـتمعات تشـكل الظواهـر الاجتماعية شبكة من العلاقـات العـرفية. ونضـرب مـثلا لظاهـرة مـن الظواهـر الاجتماعية في البيئة أو المجتمع المصري :

ارتداء البيجاما في الشارع في القاهرة "ممتنع"

في الريف "مقبول"

قانون العيب ظاهرة اجتماعية خاصة بالمجتمع المصري

ويعتـبر الـنظام القضـائي في أي مجـتمع مـن المجـتمعات من أعقد الظواهر والحقائق الاجتماعية .

هـذه الأفكـار والآراء أفـاد مـنها "دي سوسـير" أيمـا إفادة ، فضلا عن دقة اسـتقرائه وإمعانـه النظـر في بـناء نظـريته اللغوية ، التي تقوم في أساسها على فكرة التقسيم والولع بالثنائيات .

١ ـ علم اللغة الوصفي :

يـرتبط ظهـور المـنهج الوصـفي كنظـرية مـتكاملة الأركان بشخصية رئيسة غـيرت مفاهـيم علـم اللغـة واتجاهاته من المتغيرات إلى الثوابت ، ومن المعيارية إلى

(١) دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ٢٣ ، ٢٤ وانظر : جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٣٥ : ٣٧

ملاحظة الواقع الفعلي للغة ، ومن الاقتصار على جانب واحد ، أو جوانب محددة إلى جـوانب اللغـة جميعها صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، كما انتقل بدراسة اللغة من هدفها التعليمي إلى هدف علمي في المقام الأول .

إنـه "فـردنان دي سوسير" اللغوي السويسري الذي ترك بصماته على لغويي القرن العشرين ،وأظن أنه سيمتد إلى أبعد من هذا القرن .

وبمعـيار أهمـية الكـيف علـى الكـم ، لم ينشـر هذا العالم في حياته القصيرة سوى مؤلفين - ليس من بينهما كتاب " محاضرات في علم اللغة العام" :-

أحدهما بعنوان "مذكرة حول النظام البدائي لأحرف العلة في اللغات الهندو أوربية" نال به شهرة علمية واسعة وهو في الحادية والعشرين من عمره .

والثانـي بعـنوان "مجمـوعة منشـورات فردنان دي سوسير العلمية" ولكنه لم يحظ باهتمام مساوٍ لسابقه . [1]

لقـد درس "دي سوسـير" في ليبـزج (ألمانيا) مع النحاة الجدد ، وبدأت حياته العلمـية بإسهاماته في علم اللغة الهندوأوربي المقارن ، وظلت مبادئ نظريته حبيسة في مذكـرات تلامـيذه حتـى بعد وفاته بثلاثة أعوام ، وعندما ظهرت إلى الوجود في عـام ١٩١٦م ، لم تلـق عناية كافية إلا بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية . [2] أما أثـناء حـياته ، فإنه قد أصيب بخيبة أمل عندما لم يجد صدى لأفكاره الثورية في علم اللغة العام بين عامي ١٩٠٦، ١٩١١م .

---

(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٤٨

(٢) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣١٨ ، ٣١٩

خلاصة القول :

إن دى سوسير قد أسس منهجا شكليا تركيبيا للغة، يعتمد على آراء وأفكار دوركايم في كون اللغة ظاهرة اجتماعية ، ويقوم هذا المنهج على مجموعة من الأسس والمبادئ التالية :

١/أ ـ أسس النظرية ومبادؤها

الأول : التمييز بين القضايا المزدوجة

تتميز النظرية بتقسيم معالجة اللغة من خلال عدد من الظواهر الثنائية والتي يعارض بها النوع إلي التجزئة والانفصال، وأهمها هي :

١ـ ثنائية اللغة / الكلام . (1) .

ميز دى سوسير بين اللغة/ اللغة، وبين اللغة/ الكلام ، بسؤال نفسه عن ماهية اللغة؟ ثم أردف بالإجابة قائلا : اللغة بمعناها الأعم "La Langage" ظاهرة اجتماعية عامة لا يستغني عنها المجتمع الإنساني، وهي تخرج عن نطاق الفرد، أي أنه لايستطيع بمفرده إنشاءها، ولا يمكنه تعديلها، وهي أيضا نظام من الرموز المتباينة التي تعبر عن أفكار مختلفة، وهي من جهة أخرى شيء يمكن دراسته بصورة منفصلة عن الكلام ، وهي تختلف عن اللغة المعينة La Langue التي يقصد بها عادات مجتمع معين للتواصل وتبادل التفاهم والأفكار.

فقد ميز بين هذين المفهومين من ناحية والكلام La Parole كنشاط عضلي صوتي لدى الفرد بشقيه النفسي والاجتماعي من ناحية أخرى. وقسم دى سوسير

(١) ف . دى سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٣١ : ٤٢ واتظر : د/ تمام حسان ، مناهج البحث فى اللغة ٣١ د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٣٢ د/ عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور ٦٧ ، ٦٨

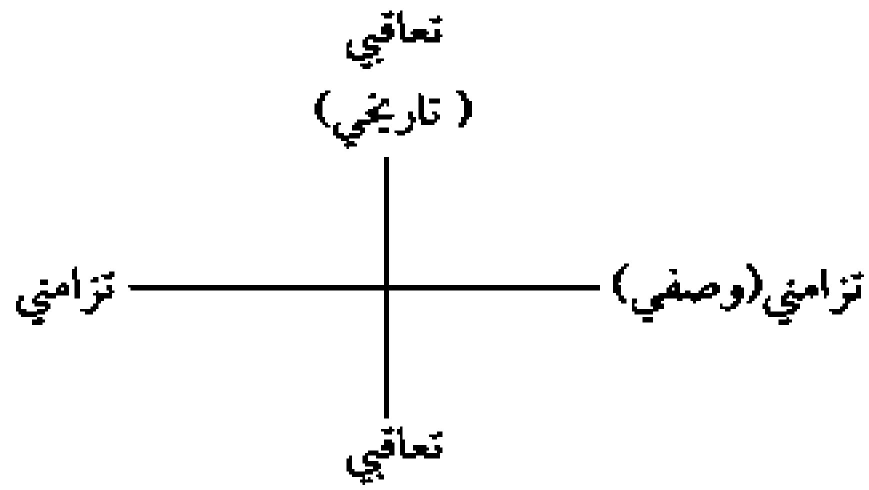
اللغـة المعينة إلى ثنائية أخرى هي اللهجة كنظام لغوي جغرافي واللغة على المستوى الشخصي وفقا لثقافة الفرد أو حرفته.

٢ـ بعدا الدراسة اللغوية تعاقبية / تزامنية [1].

بين دي سوسير إمكانية دراسة اللغة من خلال بعدين هما :

أ- البعد التاريخي أو التعاقبي Diachronic

وهـو الـذي يتتبع تطـور اللغـة عـبر الـزمن ، ويتسم بدمج المعطيات اللغوية المختلفة دون أن يصـنفها تصـنيفا واقعـيا ، وهـو أكثر بساطة وأقل أهمية ، وقد يعطى نـتائج مضـللة لأحـداث منفصـلة تاريخـيا ، لأن الحقائق التاريخية غير مرتبطة بالحقائق الوصفية التي أفرزتها أو كونتها ، والمخطط الآتي يوضح البعدين التاريخي والوصفي :



ب- البعد الوصفي أو التزامني Synchronic

وهـو الـذي يعنـى بدراسـة المسـتوى اللغـوي لعصـر معـين اعـتمادا على الاسـتقراء الشـامل للأمـثلة ، ويسـتبعد أي تفسـير تاريخـي للـتغيرات الـتي تطـرأ

(١) فـ.د. سوسير ، فصول في علم اللغة العام ١٤٢ ، ١٥٩ ر. هـ روبنز، موجز تاريخ علم اللغة ٣١٩

عليه .[١] أي أنه يستبعد عنصر الزمن ويركز علي الظواهر المتعاصرة وهو في الواقع أكثر جدية وصعوبة من سابقه .

وينبغي في رأى دى سوسير ألا نخلط بين التنظيم اللغوي كواقع قائم بذاته وبين البعد التاريخي للغة ، وبمعنى آخر لابد من معرفة اللغة كواقع قائم بذاته قبل تتبع تطور اللغة عبر الزمن . وهو لا يقصد بالدراسة الوصفية (المعاصرة وفق تعبير الدكتور عبد الرحمن أيوب)[٢] قصرها على الوقت الحالي فحسب، أو دراسة اللغات الحية وحدها ، وإنما قصد بها دراسة أي لغة قديمة أو معاصرة (حية) من خلال نص مكتوب أو بوسائل سمعية في فترة محددة زمنيا .

وينبغي على الباحث الذي يتبع المنهج الوصفي، أن يطرح كل ما يتعلق بإنتاج اللغة جانبا، وينظر بدقة في حالة الثبات، لأن الوصف يتطلب التركيز على الحالة المستقرة، أما التطور فهو مسألة أخرى تستوجب البحث في تاريخ الظاهرة اللغوية مثال ذلك في الألمانية القديمة[٣] .

المفرد		الجمع
Gast (ضيف)	←	Gasti (ضيوف)
Hant (يـــد)	←	Hanti (أيدي)

فنهاية الجمع كانت (I) ، وتغير حرف الصائت (a) إلى (ä)

Gästi	→	Gasti
Hänti	→	Hanti

ثم فقد الحرف الأخير (I) جرسه وأصبحت الكلمات في حالة المفرد

(١) D . Crystal , Linguistics P. 101 : 103

(٢) د . عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور ٦٠

(٣) دى سوسير، فصول في علم اللغة العام ١٤٦ : ١٥٠

والجمع حاليا :

Gäste	→	Gasti
Hände	→	Hanti

ويقابل هـذه الظاهرة في الإنجلوسكسونية زيادة الصائت (I) في نهاية المفرد للدلالة على الجمع مثل:

Fot (قدم)	←	Foti (أقدام)

بتغير حرف العلة (o) إلى (e) أصبحت في الجمع :

Feti	→	Foti

ثم سقط الحرف الأخير في النطق Feti وأصبح Fet

وتحولت في الإنجليزية الحديثة من Fet إلى Feet

وبالـرغم مـن أن إضـافة (I) في الإنجليـزية والألمانـية القديمـتين كان يشير إلى الجمع في المرحلة الأولى، إلا أنه في المرحلة التالية تمايزت كل لغة منها عن الأخرى .

٢ـ ثنائية الدال والمدلول Signifiant , Signifié (١)

اللغـة في واقعها الأصلي نظام من الرموز ، وليست مجرد مفردات، وهذه الرموز عـبارة عـن دوال انـتظمت في نسق واحد ، واكتسبت عرفيا (٢) مدلولات معينة ، وهذه الـوحدات اللغـوية (الـدوال) لا تتطابق مع الواقع الفكري أو المادي (المدلولات) تطابقا كليا، فالرموز الصوتية والعبارات نظام متكامل يتضمن المحتوى الدلالي (المعنى) .

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٤ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية "علم اللغة الحديث" ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) أي أنها ذات طبيعة اصطلاحية بين افراد الجماعة اللغوية الواحدة ، وتستمد دلالتها من تنظيمها وفق أنساق متباينة.

إذن الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي، ولكنها شئ فيزيائي مختلف، وهي (الصورة الصوتية) تتطابق فقط مع الفكرة، ويكونان معا ما يسمى بالرمز .

وفي رأيي- تعد العلاقة بين الأفكار والأصوات أشبه بطبقتين من الماء في النهر أو المحيط ، ترتكز الطبقة السطحية على الطبقة الأخرى أسلفها، وترتبطان معاً مع أن لكل طبقة منهما خواصها الذاتية .

ووظيفة اللغة هي الربط بين توزيع الأصوات والأفكار على النحو الذي نراه في المخطط التالي :

النظام اللغوي

الأفكار

الأصوات



كل شريحة صوتية/ أو مجموعة شرائح تعبر عن فكرة ويربط بينهما النظام اللغوي

واللغة بأي حال من الأحوال غير قادرة على حماية نفسها ضد القوى التي تعمل بين حين وآخر على تغيير العلاقة بين الدال والمدلول، مما يرجح أن العلاقة أو الرمز غالبا ما يكون اعتباطيا ، ونادرا ما يكون هناك علاقة بين اللفظ ومعناه .

٤- علاقة العناصر اللغوية : رأسية / أفقية [1]

قسم دى سوسير العلاقات التي تربط عناصر الجملة إلى قسمين يعبر عنها بمحورين ، هما :

(١) ف . دى . سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢١٣ محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ٩٦ د/ محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي ٣٤ .

أ- المحور الراسي (أو – ما يسمى بالعلاقة الجدولية) Paradigmatic وهو الذي يوضح إمكانية تبادل الكلمات أو الرموز التي تشغل موقعا ما في الجملة كما توضح الأمثلة :

خزان	
برميل	
كوب	هو
زجاجة	أنا
١ – ملأت كأس الماء	٢– أنتَ مجتهد

في الجملة (١) يمكن استبدال (خزان) أو (برميل) أو (كوب) أو (زجاجة) بالمضاف (كأس) ، وفي الجملة (٢) يمكن استبدال الضمير (هو) أو (أنا) بالمبتدأ (أنت) في العلاقة الجدولية الرأسية .

ب ـ المحور الأفقي Syntegmatic

حيث تنتظم عناصر الجملة في تتابع معين يمثل كل عنصر منها موقعاً ما في الجملة. أهو مسند أم مسند إليه ؟ .. أهو مبن أم معرب ؟

وإذا كان معربا . أهو مرفوع أم منصوب أم مجزوم .. ؟ .. الخ .

ونمثل لهذه العلاقة بالجملة التالية : إذا كان الجو جيلا سأخرج.

فكل عنصر من عناصر التركيب يتطلب تحديد الموقع والوظيفة والحركة الإعرابية ، فلا يكفى استبدال اسم باسم أو فعل بفعل أو أداة بأداة أخرى ، إلاّ إذا توفرت شروط الربط الأفقي .

وتعد هذه الثنائية أساسا للبنائية / أو البنيوية التي ظهرت بعد " دى سوسير" وتؤيد دعواه إلى استقلال علم اللغة . (1) ، وإن كانت أصول البنيوية وخطوطها الجوهرية قد مسها "هيجل وجابلنتز وهمبولت"بتأكيد جابلنتز علي الطبيعة البنائية للغة ، والتي تميزها عن النشاط الفردي "الكلام" ؛، واتفاقهم علي أن البناء موجود في النحو والمعجم عند سائر البشر ، إلا أن التمايز يتأتي من جهة التركيب الفونولوجي والنحوي والمعجمي للغات ؛ كما تختلف طريقة الترابط الصوتي بينها.

٥ـ ثنائية السيميولوجيا / اللغة (٢)

السيميولوجيا عند "دى سوسير" علم يتناول دراسة التنظيمات التي تقوم علي الإشارة ، كالرسوم المتحركة وتنظيم السير في البر والبحر ، أما اللغة فإنها وإن بدت كتنظيم مستقل من الإشارات من حيث نظامها الداخلي ، إلا أنها جزء من السيميولوجيا.

٦ـ ثنائية المنطوق / المكتوب (٣)

نعرف سلفا أن الانطباعات المرئية أكثر ثباتا من الانطباعات السمعية، وبالتالي فان الإنسان يفضل في معظم الأحيان الصورة الكتابية على الصورة الصوتية، ويصاحب هذا عناية خاصة بقواعد الإملاء orthography .

---

(١) ز . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣٢١، د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٣٥

(٢) د/ ميشال زكريا ، الألسينة "علم اللغة الحديث" ٢٣٠

(٣) فـ دي سوسير، فصول في علم اللغة العام ٥٨ :٦١ وانظر : محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ١٨٢

وفقا لهذه الفرضية ميَّز دى سوسير بين النطق والكتابة ، ورأى أن النطق يسبق الكتابة ، ويتميز النطق بالتغير بينما تتماز الكتابة بالثبات وبالتالي فإن الكتابة تسبب غموض اللغة غالبا.

وقد رصد دى سوسير الخلط الذي وقع فيه اللغويون عند معالجتهم للغة والكتابة كأنهما شيئان متلازمان ، وهذا مجاف للصواب تماماً، بدليل اختلاف النطق عن الكتابة في الإنجليزية :

سكين	e.g	تنطق	for example Knife
	K	لاتنطق	
العربية	اسمعوا	الألف	لاتنطق
	أولئك	الواو	لا تنطق
	ذلك	الألف	تنطق دون أن تكت

الثاني : مبادئ متفرقة

١- اللغة ظاهرة اجتماعية [١]

٢- اللغة نظام من العناصر المترابطة معاً ، وتحتوى على عناصر فونولوجية وقواعدية ومعجمية ، وليست كيانات مكتفية بذاتها . [٢]

٣- اللغة شكل وليست جوهراً، ولا تعمل كرموز لغوية إلا من خلال خصائص تميزها عن غيرها ، فالفروق هي التي توضح ملامح الصور السمعية الأصوات حسب عرض هيلمسليف [٣] .

(١) D. Crystal , linguistics P. 101

(٢) ر.هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣٢٠

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٥١

في النصف الأول من القرن العشرين ، أخذت تتنوع مدارس علم اللغة الوصفي "التزامني" واتجاهاته ، الذي وضع دعائمه "دي سوسير" وأثر على المدارس اللغوية الأوربية ، أما على الشاطئ الآخر في أمريكا فقد كان تطور علم اللغة الوصفي مستقلاً ومختلفا عن اتجاهاته في أوربا ، وبدأت مراحل نموه على يد أحد علماء الأنثروبولوجي الأمريكيين ، ويدعى "فرانز بواس F. Boas

وسنعالج في شيء من الإيجاز أهم مبادئ هذه المدارس واتجاهاتها على النحو التالي :

٢ ـ المدارس الأوربية

٢/ أ ـ مدرسة جنيف

إذا جاز لنا من الناحية الشكلية وضع "دي سوسير" علما علي رأس مدرسة جنيف ، فإن هذا سيتعارض فعليا مع أحقيته في قيادة المدارس اللغوية الأخري ، التي اغترفت – بلا شك – من مبادئه وأفكاره وطورتها في اتجاهات شتي.

ولما كان ذلك كذلك ، نفضل إطلاق هذا المسمي علي أعمال تلاميذه وعلي رأسهم "تشارلز بالي" (١٨٦٥– ١٩٤٧) ، و ألبرت سيشهاي (١٨٧٠– ١٩٤٦) ثم يأتي بعد ذلك أبرز أتباعهما "هنري فراي" وتتميز هذه المدرسة بولائها الشديد للمنهج الوصفي، ويحسب لها ما أنجزته في دراسة العناصر الإنفعالية الأسلوبية في اللغة [١]

٢/ب ـ المدرسة الوظيفية (مدرسة براغ)

شكل فريق من اللغويين التشيك وغيرهم (١٩٢٦م) اتجاها وصفيا يعتمد

(١) د / محمد حسن عبد العزيز ، سوسير رائد علم اللغة الحديث ١٢٨

على مبادئ وأفكار "دي سوسير" في اللغة باعتبارها نظام من الرموز، وتميزت آراء أعلامها بالربط بين اللغة ووظيفتها أي : تحليل اللغة بهدف الكشف عن وظائف مكوناتها البنيوية ، وهو مبدأ وسمة فارقة بينها وبين المدارس الأخرى المعاصرة لها . (1)

إن تحليل اللغة بغرض الكشف عن مكوناتها البنيوية هو الهدف الأساسي الذي تبناه أنصار مدرسة "براغ" أي أنهم وجّهوا جل عنايتهم إلى إبراز الوظائف التي تؤديها المكونات البنيوية للغة ، وهي كما أسلفنا أهم السمات المائزة لفريق براغ عن معاصريهم من المدارس الأخرى ، وبالتالي فإنهم تجاوزوا الوصف الذي اختاره الوصفيون الأمريكيون إلى التفسير وبيان الأسباب التي وراء اتخاذ بعض اللغات شكلا معينا في بنائها .

وقد نشرت هذه المدرسة أفكار علمائها تحت عنوان أعمال حلقة براغ" ، وهي تمتاز فضلا عما سبق بعناية خاصة بالدراسات الفونولوجية، وهذا لاينفي عنها بعض المساهمات في علمي اللغة والأسلوب .

ويحسب لهذه المدرسة عنايتها بالجوانب الجمالية والأدبية في الاستعمال اللغوي.

ويرجع فضل تأسيسها إلى كل من "ويليم ماثيسيوس V. Mathesius ونيكولاى ترويتسكوى N. Troubetzkoy ورومان ياكبسون R. Jaksbson

من الأفكار التي عرضها "ماثيسيوس" ما يتعلق بالتفسير الوظيفي للمسند rheme ، والمسند إليه theme في إطار المنظور الوظيفي للجملة ، فان المسند إليه يشير إلى شئ عرف مسبقا لدى السامع/ المستقبل ، بينما ينص المسند على حقيقة جديدة (2) .

(1) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات 105

(2) المصدر لسابق 106

وبالتالي فإننا لا نصوغ عبارتنا وفق ما نريد أن نعلم السامع ، ولكن بناء على ما يعرفه مسبقا وفق السياق الذي بنى في الموضوع حتى تلك اللحظة . والمسند إليه يتقدم المسند عادة مالم تكن هناك ضرورة تستوجب إعطاء معلومات أخرى تخالف النظام المألوف، ففي الإنجليزية مثلا تتحدد العلاقات النحوية وفق ترتيب المفردات التي تلتزم الثبات الفاعل - الفعل ثم المفعول ...... وهكذا.

ولا يشكل هذا الأمر عقبة في اللغة التشيكية كلغة متصرفة ، حيث يشغل الفاعل فيها المرتبة الأخيرة في الجملة فيقال: Evu Polibil Jan بمعنى: جان قبل إيفا

حيث تقوم اللاحقة u التي انتهى بها Evu بدلالة المفعولية، ولم يلحق بالفعل Polibil علامة التأنيث ، وبالتالي فإن المطابقة بين الفعل والفاعل تحقق سلامة الجملة .

ومثلها في العربية :

كوّن المدرب مجموعة من اللاعبين .

أو المدرب كوّن مجموعة من اللاعبين .

بتجاهل العلامة الإعرابية نلاحظ أن الفاعل هو "المدرب" لأن المفعول يدل على مؤنث، والفعل لم تلحق به علامة التأنيث ، ومن ثم يصح التفسير الوظيفي لعناصر الجملة .

وفي حالة البناء للمجهول ينبغي تأخير المفعول (الفرقة) وفقا للمطلب الوظيفي إلى نهاية الجملة كما في نحو :

كُوِّنتْ الفرقة الموسيقية.

ولـذلك سـلكت الإنجليزية مسلكا توفيقيا بين ما يتطلبه النحو من ضرورة تقـديم الفاعـل، ومـا تتطلـبه الوظـيفة مـن وجـوب تـأخير المسـند (المدرَّب- أو المقـبل) إلى آخـر الجملـة باسـتخدام شـكل خـاص من أشكال الفعل كما يلي:

Eve was kissed by John

وصيغة البناء للمجهول في التشيكية نادرة الحدوث .

• تروبتسكوى

لغـوي من أصل روسي ، كان أبوه أستاذ للفلسفة في جامعة موسكو ، وقد عمـل تروبتسـكوى بدايـة في جامعـة موسـكو بداية في جامعة موسكو ثم انتقل إلى جامعة فيينا أستاذ لكرسي اللغات السلافية .

وشـارك الأمـير السـابق "تروبتسـكوى" أعضـاء حلقة براغ عند تكوينها تحت إشراف "ماثيسيوس" بعد أن انتقل للعمل في جامعة فيينا عام ١٩٢٢م

وتصـنف أفكـار "تروبتسكوي" عن اللغة ضمن الإطار الوظيفي ، فقد كان "تروبتسكوى" يسند دوراً وظيفيا أساسيا للفونيم ، ويتجلى ذلك في كتابه "مبادئ علم الأصوات الوظيفي Principles of Phonology ، وكان اهتمامه بالعلاقات الرأسية بين الفونيمات يمثل ذروة أعماله وأكثرها دقة وتميزاً .

فقد ميز بين التقابل الخاص : Private Opposition مثل V, F حيـث يكون الفونـيمان مـتماثلين باستثناء سمة واحدة هي الجهر- الهمس، وبين التضاد المتدرج Gradual Opposition كمـا في حالـة التمييـز بـين الصوائت i, e, ae لتفاوت نسبة الاتسـاع.(أقصـد اتسـاع مجـرى الهـواء)، وبـين الـتقابل المكافـئ equipollent opposition كما في حالة وجود سمة مميزة للصوت نحو: K , t, p .

وأشار تروبتسكوي إلى أن التقابل الفونيمي قد يكون مؤثراً في بعض السياقات، ومنعدم الأثر في سياقات أخرى ، كما يحدث في الألمانية بين t , d ، حيث ينعدم التقابل في أواخر الكلمات :

ف " t " تستخدم في أواخر الكلمات، و d في آخر الجذر ، والتي تتبعها لاحقة، عند سقوط اللاحقة تتحول إلى t نحو :

ba : den / baden يستحم

ba : t / bad حمام. (1)

وحدُّ الفونيم عند تروبتسكوي إنه نموذج / وحدة صوتية مستقلة لها القدرة على التمييز بين الكلمات وأشكالها ، أو هو أصغر وحدة تشكيلية في اللسان المدروس .

فكل صوت مكون من مجموعة من العناصر ، وهي كل غير قابل للتفتيت أو التجزئة أو التحليل فالباء مصلاً من الناحية الصوتية تتمثل في سلسلة كم الحركات النطقية ، فهي إذن وحدة تشكيلية غير قابلة للتحليل زمنيا ، وهو ما ينطبق على الوحدات التشكيلية الأخرى .

وللفونيم وظيفتين هما :

١- تحديد معنى الكلمة كسمة إيجابية .

٢- الفصل والتمييز بين كلمة وأخرى كسمة سلبية.

والعضو الثالث في هذه الحلقة هو رومان ياكبسون الروسى الأصل الذي اقترن اسمه بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT ، ويعد هذا العالم أهم أعضاء

(١) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ١١٠

حلقة "براغ"؛ وكان لأفكاره أثراً واضحاً في تشومسكي واللسانيات الأمريكية خلال العقدين الأخيرين .

وتعد نظريته في الصوتيات الوظيفية أهم ما قدمه من أعمال ،فقد اهتم بتحليل الفونيمات إلى الملامح المميزة لها، مما دعا ياكبسون إلى الاستعانة بالآلات والأجهزة في دراسة الأصوات وتحديدها بدقة، وأدى هذا بالتالي إلى تطور هذه الدراسة لما يعرف بعلم الأصوات التجريبي Experimental phonetics ،

وتقوم فكرته في علم الأصوات الوظيفي على وجود نظام مبسط نسبيا وكليا يقع تحت الشكل الفوضوي الذي يضم جميع الأصوات اللغوية ، ويرى "ياكبسون" أن نظم الأصوات في اللغات المختلفة لا تتجاوز كونها فروقاً سطحية لها أساس عميق وثابت .

ويظهر لنا بوضوح عناية "رومان ياكبسون" بالدلالة والتركيب والمنهج البنيوي للأدب، كما وجه عناية خاصة للغة الأطفال والمعاقين. وتتماز معالجته للمستوى الفونولوجي برصد السمات السمعية على العكس من "تروبتسكوي" الذي اعتمد على السمات النطقية ، كما صنف الفونيمات حسب سماتها الكلية (± مجهور ..) وربط بين تطور اللغة عند الطفل وضعفها لدى المصابين "بالأفازيا" أي : مرض عدم القدرة على الكلام (1) .

ومع أن "أندريه مارتينيه A. Martinet لم يعش في براغ أبدا ، إلا أنه يعتبر أخلص أتباع منهج "تروبتسكوي" في مجال الفونولوجيا، وهو من أكبر المؤيدين المعاصرين لأفكار مدرسة "براغ" ، ويعتبر مفهوم النتاج الوظيفي للتقابل الصوتي من

(1) المصدرين السابقين ٢٤١:٢٤٥ ، ١٥ ومبعدها.

أهم المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها 'مارتينيه' لتفسير التغييرات الصوتية (١) كما أنه يعتبر مفهوم النطق المزدوج من المبادئ الأساسية التي بنى عليها آراءه اللغوية ، أي أن الوحدة اللغوية ذات وجهين: مونيم وفونيم. (٢) .

أولا ج ـ مدرسة كوبنهاجن

على غـــرار حلقة براغ لعلم اللغة، أسس لويس هيلمسليف Hjelmslev L. وفيجو برونداال V. Bröndal مدرسة لغوية تتوسل بمبادئ وأفكار 'دى سوسير' سميت حلقة كوبنهاجن لعلم اللغة (١٩٣١م).

تنطلق هذه المدرسة من تعريف 'دى سوسير' ، بأن اللغة شكل وليست جوهراً، ويعتبر 'هيلمسليف' أول من اعتنى بتطبيق المنطق الرياضي أو الرمزي على اللغة لوضع نظرية عامة لها ، لا تكتفي بتحليل نص من النصوص بل تطمح إلى تحليل كل النصوص .

ولم تقف أعمال 'هيلمسليف' عند حد محاكاة 'دى سوسير' أو مدرسة براغ وتبني أفكارهما ، وإنما حرص على التميز من خلال تطوير وبلورة مصطلح 'Glossematique' جلوسماتيك الذي ظهر عند 'دى سوسير' لأول مرة بمعنى مختلف من حين لآخر، وهذا المصطلح منقول عن الكلمة اليونانية glossa بمعنى 'لغة' (٣)

(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٦٠

(٢) المونيم هو أصغر وحدة معنوية يشكلها اللكسيم والمورفيم كما في قولنا: تكلم الصادقون - كلم، صادق (لكسي) التاء، ال ، ون (مورفيمان) ، والفونيم: هو أصغر وحدة صوتية لمزيد من التفصيل حول مبادئة: د./ ميشال زكريا ، الألسنية، علم اللغة الحديث ٢٥٢ : ٢٥٧ .

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٢٧ : ١٢٩

أما مصطلح "الجلوسيم" فيقصد به عند "هيمسليف" الأشكال الصغرى التي لا تقبل التجزئة .

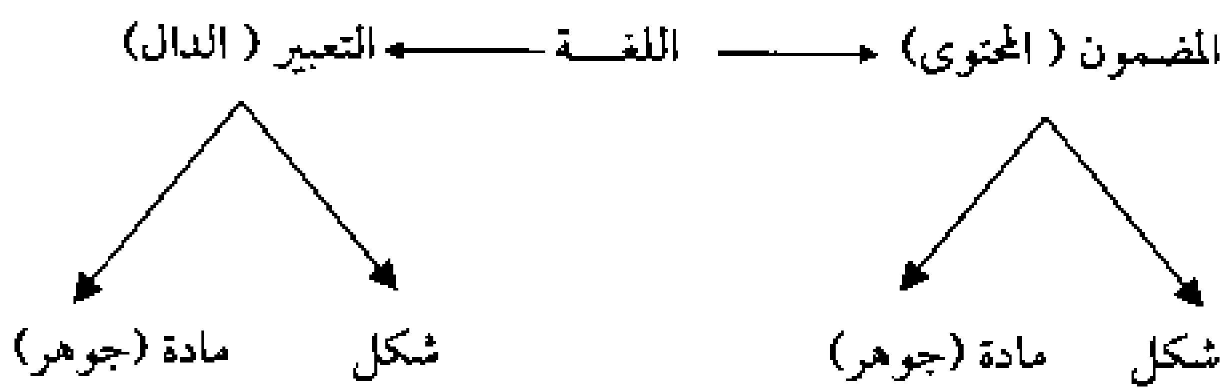
تقـوم نظرية " الجلو سماتيك " على دراسة النص وتحليله لوحدات صغرى ، بينما مجمـوعة مـن العلاقـات ثـم توصـف العلاقـات بـين هذه الوحدات ، حيث تتضـمن كل وحدة لغوية مستويين هما :(1)

أـ مستوى التعبير

بـ مستوى المحتوى

يمـثل مسـتوى التعـبير الغطـاء الصوتي وموضوعه الدراسة الصوتية، بينما يمـثل مـــتوى المحـتوى عـالم الفكرة وموضوعه الدراسة الدلالية، ولكل من التعبير والمحـتوى شكل وجوهـر. الشكل يقبل التحليل إلى هياكل (جلوسيمات) والتغير الـذي يطـرأ على البنية له علاقة بالشكل لا بالجوهر ، والجوهر المادي يوصف من خلال الشكل .

و يمكننا تصور هذه العلاقات في المخطط التالي :



وتشكل هذه المكونات أربع طبقات :

(1) وهما يقابلان الدال والمدلول عند " دي سوسير".

١- المحتوى (المدلول) والشكل

٢- المحتوى والمادة

٣- التعبير (الدال) والشكل

٤- التعبير والمادة

تمثل الطبقتان ١،٣ (المحتوى والشكل، التعبير والشكل) اللغة الفعلية، بينما تمثل الطبقتان ٢، ٤ (المحتوى والمادة، والتعبير والمادة) الحقائق الخارجية.

فكل ما ينتمي إلى مستوى التعبير ومستوى المحتوى يرتبط حتميا باللغة ، واللغة تستخدم أصواتا لغوية محدودة ، هذه الأصوات تختلف في طرق توافقها ضمن نظام اللغة، أما مستوى التعبير فإنه يتكون من مادة مشتركة بين سائر اللغات ، ومادة المحتوى مشتركة أيضا بين لغات البشر ، أما شكل المحتوى (المدلول) فخاص بكل لغة .

ومادة التعبير هي موضوع دراسة الفوناتيك (الأصوات) ، أما مادة المحتوى فهي موضوع الدراسة الدلالية (المعنى)، وهما يشكلان معاً مجالات مساعدة لعلم اللغة .

والخلاصة إن نظرية الجلوسماتيك قد عجزت لغويا على مستوى التطبيق ، فمبدأ الجلوسماتيك لم ينجح في تنظيم التحليل الوصفي لكل اللغات ، ولم يجد من التراكيب الجبرية ما يناسبها .

ورغم ذلك فإننا نشهد بأن هيلمسليف قد تبنى منهجا علميا واضحاً يعتمد على الملاحظة والاختيار ، فهو صاحب منهج تجريبي ينطلق من متطلبات ثلاثة هي:

أ- الانقياد لمبدأ التبسيط .

ب- التكامل والشمول .

حـ- الترابط وعدم التناقض .

هذا المنهج العلمي الواضح كان من أهم ما استرشد به اللغويون بعده .

أولاً / د- مدرسة لندن

كـان التركيـز علـى علم الأصوات من التقاليد الإنجليزية العريقة في دراسة اللغـة ، وترجع شهرة المدرسة اللندنية إلى هنري سويت H. Sweet (القرن التاسع عشـر) الـذي يعـد في طليعة المهتمين بالدراسات الصوتية في إنجلترا ، ووضعها في مقدمة الدول الأوربية في علم الصوتيات .

ثـم انـتهج دانيال جونز D. Jones نهج سلفه سويت في دراسة الأصوات، وهو الذي وضع نظام نقاط القياسات الأساسية للصوائت. (1)

ويظهـور فيرث J.R. Firth (١٨٩٠ - ١٩٦٠م) أول أستاذ للغويات العامة في بريطانيا، الذي عرف باهتمامه الخاص باللغات الشرقية، ودرس علم اللغة دراسة علمـية متميـزة بـدأت مـرحلة جديـدة لهذا العلم في إنجلترا تعارض تقاليد الدراسة اللغوية عند بلومفيلد (أمريكا) .

وقـد وسـم الدكـتور كمـال بشـر (2) مـنهج فـيرث بالشـكلية التركيـبية ، لأنـه يسـجل الحقائـق اللغـوية وفـق صـورها الشـكلية وأنمـاط الصـيغ الكلامـية في التركيب .

(١) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٢٢٦

(٢) د/ كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ١٧٢

ومما لاشك فيه أن نظرية "فيرث" في المعنى ، والتي تعد أهم إنجازاته في علم اللغة تعتمد على الأسس التي وضعها الأنثروبولوجي البولندي "مالينوفسكي" صاحب مقولة : إن رؤية اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم إلى رأس السامع ليست إلا خرافة مضللة (1) . لأن اللغة في الاستعمال البدائي ليست سوى حلقة اتصال في النشاط البشرى ، واللغة ليست قولا ، بل هي في واقع الأمر عمل .

انظر مثلا إلى الأوامر العسكرية ، والعبارات التي يلقيها المهندس على العمال في موقع العمل ، حتى الحوار خارج الأنشطة المشتركة لأطراف الحديث يؤدى إلى الحفاظ على الروابط العاطفية بين المتكلمين، وهذه الآراء بالطبع ليست صادقة تماماً في رأيي فعبارات المجاملة والثرثرة لا تخرج عن كونها وسيلة لنقل الأفكار وطمأنة المستمع إلى موقف المتكلم.

وقد تأثر "فيرث" بهذه الآراء بصورة ما، كما يظهر ذلك في مساواته بين العبارة الكلامية والفعل .

وفى معرض حديثه عن المعنى قال : إن نقل الفكرة من المتكلم إلى السامع لا يتم بمعزل عن "مقتضى الحال" Context of situation، ويرى "فيرث" أن المدارس اللغوية الأخرى اعتنت بالتركيب الداخلي للغة أكثر مما يجب ، وأغفلت استعمالها الفعلي في المجتمع رغم علاقتها بالجانب الأول . ومن ثم فإن استعمال اللغة محكوم بمبادئ أساسية هي :

(1) نقلاً عن مالينوفسكي ، انظر : جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٢٣٨

١ـ السياق [١]

فالكلمة لا يتعرف على معانيها بدقة إلا من خلال فكرة السياق الذي أعاد إحياءها على صورة نظرية علمية ، فعلى سبيل المثال تتحدد دلالة الفعل "طلى" في العبارات التالية حسب السياق :

أ- طلى الشيء بكذا ..أي : دهنه
ب- طلى الليلُ الأفق أي : غشاه بظلمة
حـ - طلى فلاناً أي : شتمه
د - طلى الظبيُ .. الفرسَ : ربطه وحبسه

٢ـ المقام أو المناسبة :

يضم عناصر أهمها :

المتكلم نوعه وعمره وعدده ومكانته وعلاقته بالمستمع وجنسه ودينه.

والمستمع وما يتبعه؛ وعلاقة المتكلم بالمستمع صداقة/ قرابة/ غريب/ عدو..الخ.

والخلاصة: إن مفهوم "فيرث" للمعنى تكونه مجموعة من العلاقات والخصائص اللغوية التي يكشف عنها الموقف المعين الذي يحدده السياق.

وقد قسم السياق عنده إلى :
سياق لغوى (علاقات صوتية .. نحوية الخ)
سياق الحال (الظروف الاجتماعية / البيئة الثقافية للمتكلمين) .

(١) هو الكلمات التى تحيط بالكلمة التى يراد توضيح معناها

٣ـ الموضوع :

(عناصره – المكان والزمان ودواعي إنتاج العبارة أو الجملة...... الخ) [(١)]

وقد ساهم "فيرث" فضلاً عما قدمه في نظرية علم الدلالة بمعالجته للصوتيات الوظيفية التي وسمت بتعدد النظم Polysystematic [(٢)].

رابعاً /٢ـ المدارس الأمريكية

أشـرنا فـيما سبق إلى اختلاف أسلوب تطور علم اللغة الوصفي في أمريكا عنه في أوربـا علـى يـد ثلاثـة من العلماء الأمريكيين في الأنثروبولوجيا واللغة ، وهم فرانز بـواس وإدوارد سابير وليونارد بلومفيلد، ولم يكن هؤلاء متقطعي الصلة بأسلافهم من علماء اللغة الأمريكيين مثل (وليم دوايت وايتني W. D Whiteny) [(٣)] وغيره .

لقـد تـبنى الأمـريكيون مـنهجاً يعظـم مـن دور العلاقات الأفقية بينما أتجه الأوربيون إلى منهج يعطي أهمية أكبر للعلاقات الرأسية .

فرانز بواس (١٨٥٨ ـ ١٩٤٢)

واحـد مـن أهـم رواد الأنثروبولوجـي اللغـوية ، الذي أثر تأثيرا عظيما في الفكـر اللغـوي الحديث ، وتتلمذ على يديه نخبة من علماء اللغة في النصف الأول من القرن العشرين هم : سابير ، كروبر وبلومفيلد.

وقـد ركـز "بـواس" جـل اهتمامه على منهجية وصف التكوين الخاص لكل لغة، مما ساعد على استخلاص المنطق البنيوي الذي يعكس تفاوت المنطق الثقافي .

(١) نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٢٢

(٢) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٣) أول عالم أمريكي بحث في بنية اللغات الأمريكية - الهندية - انظر جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٣

ومن أهم مقولاته عن النسبية اللغوية قوله "في كل كلام منطوق"، تعمل مجموعة الأصوات المنطوقة من أجل أداء الأفكار، وكل مجموعة من الأصوات لها معنى معين . فاللغات لا تختلف في طبيعة عناصرها الصوتية فحسب ، بل تختلف - أيضا - في مجموعة الأفكار المعبر عنها في مجموعات صوتية محدّدة" (١)

إنه يلمح في الفقرة السابقة إلى أن التنوعات اللغوية فضلاً عن التجارب التي يمر بها هي التي تؤسس للكلام المنطوق، ففي تجاربنا الواقعية لا يوجد انطباعان حسيان متماثلان ، أو حالتان عاطفيتان متشابهتان تماماً "فاللغة إذن تعبر عن تجربة واقعية للمجتمع أو الفرد ، وتتفاوت اللغات بتفاوت الثقافات .

إدوارد سابير (١٨٨٤ ـ ١٩٣٩)

هو أستاذ الأنثربولوجيا واللسانيات في جامعتي شيكاغو وييل

اقتفى سابير خطوات أستاذه ، وكان لعمله الميداني أثر كبير في اطلاعه على ثراء التنوعات اللغوية .

وقد عبر سابير عن طبيعة العلاقة بين علمي اللغة والاجتماع بما يخالف نظرية "دوركايم" التي تعتبر اللغة مَعْلَما ثابتا ، وله وجود كلى في المجتمع ، فذهب "سابير" ومعه وورف إلى أن اللغة تتحكم في كل تفكيرنا حول المشاكل الاجتماعية، وأن المجتمعات تعيش تحت رحمة اللغة التي تعبر عنه، فهي ليست مجرد وسيلة عرضية لحل المشكلات الخاصة بالاتصال والتفكير، ووفق تعبير سابير لا توجد لغتان متماثلتان تماما حتى نعدهما ممثلتين لواقع اجتماعي محدد.(٢)

(١) Ballmer , T. & B. Lexical Analysis and language Theory P.430 .

(٢) Carroll . T . : Language , Thought and reality P . 212 : 213.

وبمقاربة نص "سابير" يتكشف لنا تباين الرؤية بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين، وتتضح فكرة الهيمنة التي يطلق عليها "الحتمية اللغوية" وهى التي تؤكد على وجود تمايزات لغوية كمحصلة للتمايزات الثقافية .

وقد انعكس تعاون "بواس" مع "سابير" على ارتباط علم اللغة بالأنثروبولوجيا في الجامعات الأمريكية إيجابيا . واعتمد "بواس" بشكل أساسي على جمع النصوص شفويا وتسجيلها .

وأهم الآراء التي طرحها هي أن فهم المجتمع يكون عن طريق دراسة ثقافته، ودراسة ثقافة الشعوب لا تتم بمنأى عن دراسة اللغة ، وأن لكل لغة بناء خاص بها ينبغي وصفها في ضوئه .

وتأثر إدوارد سابير بأستاذه (بواس) في جمع مادته اللغوية حقليا، فجمعت دراساته بين اللغة والأنثروبولوجيا. وتتمثل آراؤه ومبادؤه في (١).

١- تعد اللغة من مكونات الثقافة ، فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، كما أنها لا تنفصل عن مظاهر السلوك الإنساني، أي أن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة تفاعل متبادل .

٢- "فرضية النسبية اللغوية" أو ما يطلق عليه "فرضية وورف سابير Whorf - sapir" (٢) التي يمكن إيجازها في نقطتين :

أ- يعبر كل اختلاف في النظام اللغوي عن اختلاف في تصور الجماعة لعلاقتها بالعالم المحيط ، فلكل جماعة لغوية تصور معين للعالم والأشياء .

(١) د/ ميشال زكريا ، الألسنة "علم اللغة الحديث" ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٢) تلميذ سابير ومساعده الذي قام بأبحاثه وفقا لمشاريع أستاذه .

ب- للغة دور أساسي في تراكم الثقافة ، وانتقال المعارف عبر الأجيال .

وقد بنيت هذه الفرضية على أساس تجريبي قام على دراسات اثنو - لغوية (لغويات عرقية) لما يقارب ألف لغة .

٣/أ - بلومفليد والنظرية السلوكية (١)

حرص بلومفيلد (١٨٨٧ - ١٩٤٩م) على اتباع المنهج العلمي لدرجة تصل حد الصرامة ، واعتمد بصورة رئيسة على التحليل الشكلي للغة وهو يمثل الاتجاه السلوكي "Behaviorism" في ضوء التفسير الميكانيكي ، وظلت آراؤه وتفسيراته في علم اللغة مهيمنة على الدراسات اللغوية في الولايات المتحدة حتى عام ١٩٥٧م.

ويمثل "بلومفيلد" نمطا من اللغويين الذين ارتبطوا ارتباطا وثيقاً بالجهود الأوربية في علم اللغة المقارن واستفادوا منها ، كما عاصر بدايات الدراسات الأمريكية للغات الهنود الحمر ، وفي الوقف نفسه قام بدور كبير في تأصيل الدراسة الوصفية. (٢)

وقد أحرز كتابه "اللغة" Language نجاحاً كبيراً شغل الأوساط العلمية آنذاك بتناوله دراسة اللغة بوصفها نمطا من السلوك القابل للملاحظة والتحليل، على أساس أن اللغة في ضوء النظرية السلوكية جزء من سلوك الإنسان .

(١) انظر : جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١١١ د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٣٧

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٣٧ .

وخلافا لما استنتجه تلاميذه من قوله "إن تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف في دراسة اللغة ، وأن الأمر سيظل كذلك مالم تتطور معارفنا عما هي عليه الآن (١) فإنه قصد بذلك التنبيه على وجوب معرفة المتكلم وعالمه أولا قبل البحث في مشكلة المعنى، بدليل قوله في الصفحة السابقة "لكي تقدم تعريفا صحيحا علميا عن دلالة أي شكل لغوى فإنه ينبغي علينا أن نملك معرفة علمية صحيحة عما يكون عليه عالم المتكلم لأن التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية" (٢) ومن ثم فإن الادعاء بإخراج علم الدلالة من دراسة علم اللغة من آراء "بلومفيلد" فيه تعسف وانحراف في التأويل . لأن "بلومفيلد" أعطى علم المعاني (يقصد الدلالة أو المعنى) كل حقوقه من خلال فقرات مختلفة في كتابة كما أشار "مونين" (٣)

وإذا تتبعنا كتاب " Language " في طبعتيه ، فإننا نجد أن طبعته الثانية التي صدرت عام ١٩٣٣ م تختلف عن طبعته الأولى في عام ١٩١٤ م . فثمة تنقيحا لحق طبعته الثانية بعد لقاء بلومفيلد لأستاذه في علم النفس (ألبرت وايس A. Weiss) صاحب كتاب "الأسس النظرية للسلوك الإنساني" الذي تأثر به بلومفيلد ، وأسس فهمه للغة على مبادئه، حيث يرى في كتابه هذا أن علم النفس علم بيواجتماعى "Biosocial" باعتبار أن سلوك فرد ما يقوم بدور المنبه في إثارة فرد آخر ، وفى الوقت الذي يكون السلوك نشاطا بيولوجيا فإنه (السلوك) في نفس اللحظة يكون اجتماعيا .

وفق هذا الرأي يذهب "بلومفيلد" إلى أن اللغة هي صاحبة الدور الأول والرئيسي في تنظيم المجتمع ، وتمثل ذروة النظام البيواجتماعى (٤) .

(١) L. Bloomfield , Language P. 140

(٢) Ibid P. 139

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٢١

(٤) ودورث ، مدارس علم النفس المعاصرة ١٢٦

واللغة حسب بلومفيلد والسلوكيين تعد نوعاً من الاستجابة الصوتية لأحداث معينة .

ويمكننا بعد ذلك عرض مبادئه وأفكاره بإيجاز في ([1]) .

المبادئ والأفكار :

١- ارتباط الصوت اللغوي بالدلالة .

٢- تنقسم الأشكال اللغوية إلى شكلين :

أ- شكل مستقل ب- شكل غير مستقل

والشكل غير المستقل لابد من ارتباطه بشكل آخر . والعنصر اللغوي يظهر في شكل مركب دائما مع وجود شكل غير مركب (أي مبسط) وهو المورفيم .

٣- يعتمد المعنى جزئيا على تنظيم الصيغ ، والنحو بشكله الترتيب الذي يحدد معنى الصيغ، وهناك طرق أربع لتنظيم الصيغ اللغوية هي :

(أ) التتابع

(ب) ألفونيمات الثانوية

(ج) الاختيار

(د) توزيع عناصر اللغة حسب تصنيفها (فعل - اسم - صفة)

٤- يمكن تصنيف الأشكال النحوية في خطوات ثلاث :

أولاً : تحديد نمط الجملة (خبرية - إنشائية)

(١) د/ ميشال زكريا ، الألسنة " علم اللغة الحديث " ٢٣١ د/ صلاح حسنين ، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن ١٦٤

ثانياً : تحديد عناصر التركيب .

ثالثاً : تحليل كل عنصر (شكل مستقل + شكل غير مستقل)

الخطوة الأولى والثانية تنتميان لعلم التركيب ، بينما تمثل الخطوة الثالثة علم الصرف.

٥- تقوم النظرية السلوكية في اللغة على العلاقة بين المثير (الحافز/ الدافع) والاستجابة . واللغة في هذه النظرية شكل من أشكال الاستجابة لمثير، وليست الشكل الوحيد لها .

فقد يكون للمثير أو الدافع رد فعل لغوى، وربما يكون له رد فعل عملي، ومن المحتمل أن يجتمعا معا .

مثال : إذا كان المثير رؤية أسد / حية ، فإن رد الفعل قد يكون التحذير منه (رد فعل لغوى)، وقد يكون رد الفعل إطلاق الساقين للريح ، أي الجري بعيداً عن موقع الخطر (رد فعل عملي)، وقد يكون رد الفعل لغويا للمرافق وعمليا لأول من تأثر بالمثير وهو حدث الرؤية، كما في المخطط :

حافز ← رد فعل عملي (الجري)

حافز ← رد فعل لغوى [1] (التحذير)

حافز ← رد فعل عملي + لغوى (التحذير والجرى)

وهذا يعنى أن عملية الكلام تمر بالمراحل التالية :

أ- حدث سابق لعملية الكلام .

ب- عملية الكلام ذاتها .

(١) د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٨

جـ- حدث ما بعد الكلام

٦- رفض المذهب العقلي في علم اللغة لحساب المذهب الشكلي لأن الأخير يحقق الموضوعية.

ففي رأي "بلومفيلد" ينبغي دراسة سلوك العناصر داخل البنية اللغوية وفقا لمواقعها في الجمل والعبارات ، فتلك الوحدات رغم محدوديتها، إلا أنها تتمتع بقدرات توزيعية غير متناهية / محدودة .

هذا المنهج التوزيعي الذي تبناه "بلومفيلد" صار مرشداً وهاديا لأتباعه في وصف ودراسة اللغة .

والفكرة الأساسية التي تقوم عليها النظرية التوزيعية هي :
فكرة الإحلال والإبدال ([1])

مثال: ذلك استبدال الفونيم (ص) في الكلمة (صام) بالفونيم (ن) في الكلمة (نام) ، واستبدال كلمة (الوطن) في الجملة : الوطن يقدر أبناءه، بالكلمة (الأب) حيث تنتمي (ن)، (ص) إلى طبقة لغوية واحدة هي الفونيم، وتنتمي الكلمتان (الوطن ، الأب) إلى طبقة الأسماء وهكذا بالنسبة للأفعال وغيرها.

٧- "فكرة المورفيم" فكرة توزيعية تقوم على تحديد العناصر اللغوية حسب وظائفها الصرفية والنحوية والدلالية .

ويعرف المورفيم عند "بلومفيلد" بأنه عبارة عن فونيم أو أكثر في بنية معينة ([2]).

(١) Ivic milka , Trends in linguistics P. 158
(٢) Bloomfield , language P. 167

وهـذا مـا يصدق على الفونيم 'S' في الكلمة Words حيث يدل هذا الفونيم علـى الجمـع ، وقـد يصـدق علـى أكثـر مـن فونـيم واحـد كما في الكلمة العربية 'مسـلمون' حيث يعد المورفيم 'ون' دالا على جمع المذكر السالم في حالة الرفع وهكذا بالنسبة لحالة النصب 'ين' وغيرها.

وبغـض النظـر عن النقد الذي وجه لهذه النظرية ، لأنها ترى أن اللغة تقـوم على رد فعل يستدعى النمط اللغوي المختزن لدى الفرد بصورة مباشرة أو غـير مباشـرة ، فإنـنا لايمكـن أن نغمـط "بلومفـيلد" حقه كمؤسس للمنهج البنـيوي التوزيعـى في اللغـة لتبنـيه طريقة جديدة في تحليل النظام اللغوي من الجملـة إلى الفونـيم. وتظهـر قـدرات الاتجـاه التوزيعـى بصـورة واضـحة في التحليل الموروفولوجى بصفة خاصة .

٣/ب : النظرية التوزيعية

لـيس معلـوما علـى وجـه الدقـة الأسـباب الحقيقية وراء تجاوز الدراسات اللغوية المعاصرة – على عجل واقتضاب – جهود اللغوي الأمريكي 'زيلج هاريس Z- Harris (١٩٠٩م)' الـذي عرف عنه جديته العلمية وأفكاره المتناسقة واتجاهاته الواضـحة، وتعد أفكاره المعّبر الرئيسي لظهور المدرسة التوليدية والتحويلية حسب تعبير ليونز . (١)

لقـد ظـل قسـما كـبيرا من أعمال أستاذ تشومسكى مجهولاً لاعتقاد خاطئ بعدم مضارعته لنظرية تليمذه . فالفكرة التحويلية – بمفهوم معين – بدأ ظهورها في أعمالـه منذ عام ١٩٥٢ في بحث تحت عنوان تحليل الخطاب "discourse analysis" وبحـث بعـنوان 'القـواعد التحويلـية Transformer Grammar' حـدد فـيه المفاهـيم

(1) Leyons , Theoretical linguirstics P. 15

والتعليمات اللازمة لتوليد جمل ما انطلاقا من جمل لغة أخرى . ويمثل هذا الاتجاه نزعة نحو استخدام الرياضيات والرموز والمنطق في تحليل اللغة . (١)

وفي عام ١٩٥٤ صدر كتابه "علم اللغة البنيوي" الذي تناول فيه المنهج التوزيعي، الذى بيَّن أنه يبدأ من دراسة العينة اللغوية للتوصل إلى نظام اللغة من خلال أجزائها .

الفرق بين الوصفية والبنيوية :

المدرسة الوصفية: تنظر إلى البناء الكامل للجملة أو التركيب وتصفه جزءاً جزءاً بدقة دون القيام بتفكيكه.

أما المدرسة البنيوية : فتبدأ بدراسة الأجزاء المكونة للتركيب جزءاً جزءاً لتكون في آخر الأمر بناءها ، وهو بالتالي عمل تكويني .

ويعد "زيلج هاريس" أخلص تلاميذ "بلومفيلد" لأفكاره ومبادئه، حيث تابع منهجه في تحليل المكونات المباشرة Immediate Constituents analysis بعرض المكونات اللغوية للجملة في عدة صور أهمها التحليل الشجري . (ش) .

المبادئ والأفكار (٢)

١ - تهدف النظرية التوزيعية إلى الكشف عن البنى الفونولوجية والصرفية والتركيبية باستخدام معياري : المعنى ، والتوزيع .

(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٧٧

(٢) انظر : د/ ميشال زكريا ، الألسنية "وعلم اللغة الحديث ٢٥٨ ، جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٧٩ : ١٨٢

٢- في التعامل مع النصوص اللغوية ، ينبغي الفصل بين دراسة الأشكال اللغوية ودراسة العوامل الدلالية .

٣- تفيد التحليلات التوزيعية في تجنب الاستعمال الصُّوفي للتعبيرات الفلسفية (مثل : النظام – الوظيفة) كما نرى عند تروبتسكوى .

٤- البنية اللغوية إبداع رياضي ، لأنها تعبر بعدد محدود من القضايا عن عدد كبير منها ، وليس من خلال بنى توزيعية يحتمل وجودها في ذهن المتكلم .

٥- ثمة صعوبات يفرضها التحليل التوزيعي ، ويمكن تجاوزها كما في مسألة المعنى ، ونستطيع القول بوجه عام إن لكل فونيم معنى أوليا ، فالجزء th في سلسلة الكلمات : this, that, then, there يدل معنى إشاري (١) كما يدل الجزء wh على معنى استفهامي في الكلمات : where, when, why, which, what

٦- هناك ثلاثة محاور هامة ينبغي معالجتها في الدراسة التركيبية وهي :

أ- المورفيم : ينقسم إلى قسمين : متصل ، ومنفصل . المتصل يسمى بالمقيد ، وهو الذي يساعد على معرفة هياكل التوزيع ، والتوزيع يقوم على دعامتين هما : الموقع والبيئة . (٢) .

ب- المكونات المباشرة : يقصد بها الأجزاء التي يتم تحليلها في الجملة لملاحظة كيفية توزيعها .

---

(١) يقابله في العربية وجود الفونيم "هـ" في بداية أسماء الإشارة نحو : هذا ، هذه ، هذان ، هاتان ، هؤلاء .. الخ

(٢) يقصد بها تحديد العناصر المصاحبة للعنصر موضوع البحث (أ) في البيئة س ص هو (س أ ص)

جـ- التحويلات : تهدف التحويلات إلى الكشف عن الثوابت والمتغيرات في النظام النحوي، وتحديد إمكانية قبول الجملة أو رفضها وفق النظام ، وأهم مظاهره : الحذف وتغيير الموقعية ، ويرمز إلى تغيير الموقعية برمزين :

أولا : ⇄ جملة مقبولة ، ثانيا: ← جملة غير مقبولة . (1)

والخلاصة : إن آليات التوزيع هي إحدى الإمكانات المتاحة للغة ، وتصلح لحل بعض مشكلاتها ، والمعيار التوزيعي هو معيار وصفي بالدرجة الأولى.

٢/ ج – النظرية التوليدية – التحويلية

لم تشغل الأوساط العلمية بنظرية أو منظر في علم اللغة – قديما أو حديثا – كما شغلت بتشومسكي ونظريته، التي أحدثت تحولات عظيمة في الفكر اللغوي العام آلياته وأدوات تحليله . ولا ترجع مكانته الرفيعة إلى ما حققته النظرية في ميدان علم اللغة فحسب، بل تعود بالدرجة الأولى إلى تجاوز تأثيرها حدود علم اللغة إلى آفاق العلوم الإنسانية والتطبيقية : (2) علم الاجتماع، علم النفس،

---

(١) صالح الكشو ، مدخل في اللسانيات ١١٨ ; ١٢٥

(٢) في علم الاجتماع راجع : Fasold, R. the sociolinguistics of language: Introdution to sociolinguistics , oxford : Blochwell . 1990 Labov , W , Sociolinguistics patterns . Oxford : Blackwell . 1972 في علم النفس راجع : جودث جرين ، علم اللغة النفس (تشومسكى وعلم النفس) ترجمة وتعليق د/ مصطفى التونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م. في الأنثروبولوجي راجع : بيلز وهويجر ، مقدمة في الأنثروبولوجي العامة، ترجمة د/ محمد الجوهري د/ السيد محمد الحسيني دار نهضة مصر ١٩٧٦ . في علم الأسلوب أعمال: أوهمان R. ohman ، هندريكس O. Hendricks وثورن Thorne وغيرهم في : د/ شكري عياد ، الأسلوبية الحديثة - مجلة فصول مج ١ - العدد الثاني ١٩٨١ ص١٢٣ – ١٣٢ في علم أمراض الكلام : د/ مصطفى فهمي ، أمراض الكلام ، مكتبة النهضة المصرية في الترجمة الآلية : د/ نبيل على ، العرب وعصر المعلومات ، عالم المعرفة (١٨٤) الكويت ٣٦٢

الأنثروبولوجيا ، علم الأسلوب ، علم أمراض الكلام، الترجمة الآلية ، علوم الاتصال .

إن المدارس اللغوية في القرن العشرين- مهما اختلفت مسمياتها منذ ظهور دي سوسير حتى تشومسكي- يمكن تصنيفها ضمن علم اللغة البنيوي - لماذا ؟

لأن هذه النظريات تتعامل مع اللغة باعتبارها نظاماً من العلاقات العضوية المتفقة أحيانا والمختلفة أحيانا أخرى ، بداية من الكلام إلى الجملة إلى الكلمة، حتى تصل لأصغر وحدة صوتية تتضمن سمات مميزة كالجهر والهمس والإطباق ... والشدة والرخاوة وغيرها .

التوليدية والتحويلية هما في الواقع نظريتان متكاملتان.

فالنظرية التوليدية : هي عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل.

وقد وضح مفهوم التوليد من خلال أمثلة رياضية خلاصتها : إن اختلاف قيم المتغيرات يؤدى إلى اختلاف النتائج كما في المعادلة :

٢ س + ٣ص – ز

حيث تعد : س ، ص ، ز متغيرات Variables .

أما النظرية التحويلية فتعنى بتطبيق قواعد الحذف والاستبدال وتغيير الموقعية على الجملة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة .

وقبل عرض نماذج النحو التوليدي ، نعطي نبذة عن "تشومسكي" مبادؤه وأفكاره :

إفرام ناعوم تشومسكي

لغوي أمريكي من أصل روسي ولد في فلادلفيا (١٩٢٨) ونشأ في بيئة لغوية ، فقد تخصص والده في عبرية الأندلس (١) ، وصحح في صباه لوالده أصول أحد الكتب عن العبرية مما كشف عن ميوله اللغوية المبكرة . وعندما التحق بالجامعة (بنسلفانيا) درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة ، وتتلمذ على "زيلج هاريس" - أستاذ علم اللغات السامية ، ثم انتقل إلى جامعة "هارفارد" وتأثر بفكر "ياكبسون" الذي كان يدرس فونولوجيا تهتم بعلم المعنى من ناحية نظرية ، وهو اتجاه مناقض للفونولوجيا التوزيعية . (٢) أي أنه نشأ علميا في إطار المدرسة السلوكية (البلومفيلدية) ثم انقلب عليها بفكر مناهض لها ، وذي اتجاهات متعددة .

وفي عام ١٩٥١م قدم رسالته للماجستير بعنوان "البنية الصوتية للعبرية الحديثة ونظامها الصرفي . Morphophonemic of Modern Hebrew ثم قدم عملين تأسست عليهما كل أعماله اللاحقة وهما: التحليل التحويلي Transformation Analysis ورسالته للدكتوراه "البنية المنطقية للنظرية اللغوية" The logical structure of linguistic theory"

ويبدو أن منحنى الصعود أخذ في الارتفاع بعد نشر كتابه التراكيب النحوية "Syntactic Structures" (٣) (١٩٥٧م) ، . ثم تسارعت بعد ذلك تطورات النظرية

(١) لا يخفى أثر النحو العربي ومناهجه على نشأة النحو العبري في مراحله الباكرة بالأندلس وعلى مؤلفات سعديا الفيومي ومروان بن جناح وابن بارون في كتب : الإجارون واللمع والأصول والموازنة

(٢) انظر : جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٤ ، ١٩٥، د/ عبده الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث ١٢٢ ، ١٢٣

(٣) اختلفت ترجمة عنوان الكتاب في التراجم والمؤلفات العربية انظر: التراكيب النحوية في (ترجمة د/ حلمي خليل - نظرية تشومسكي تأليف جون ليونز ٧٢)، البنى النحوية في (د/ نجيب غزاوي، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٨)، الأبنية التركيبية في (د/ محمود فهمي حجازي/ البحث اللغوي ٤١، الأبنية النحوية (ترجمة د/ مصطفى التوني/ علم اللغة

من خلال التعديلات التي أدخلها تشومسكي ومؤيدوه على بعض مفاهيمها النظرية على مراحل.

وبالرغم من اختلاف تشومسكي كلية مع مبادئ هاريس والبلومفلديين بعد نشر كتابه (التراكيب النحوية) حول نظام الإجراءات الكشفية ([1]) ، إلا أنه ظل متمسكا بموقفه الذي يتلخص في ضرورة الاعتماد على الطريقة الشكلية في دراسة فونولوجيا أي لغة ونحوها دون الرجوع إلى الجوانب الدلالية . ([2]) .

واعتمد تشومسكي على الرموز الجبرية التي استعارها من هاريس كبديل للمشجرات والمخططات عند الوصفيين .

ويتتبع مسيرة تشومسكي نرصد عاملين أساسين – فضلاً عن العوامل السابقة – لا ينبغي إغفالهما لأنهما ساعدا على نضجه وتكوينه الفكري ، وهما :

١- عمله في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا "MIT" حيث تلاقي أفكار الأعلام في التخصصات المختلفة : المنطق والرياضيات وعلم النفس وعلوم الحاسب الآلي .

٢- اتجاهاته المذهبية التي وصلت به أحيانا حد الخصومة والعداء لمن خالفه الرأي والعكس بالعكس .

وقد ساعد ظهور أجيال الحاسبات الآلية بالتوازي مع حياة تشومسكي على بقاء علاقته متجددة دائما بعلوم الرياضيات والحاسب الآلي، ففي عام ١٩٥٨

النفسي - تأليف جودث جرين ٧١) .

(١) يقصد بالإجراءات الكشفية : الإجراءات التقويمية التي يتبعها عالم اللغة في دراسته لكشف عن مدى ملاءمتها للمادة موضوع الدراسة .

(٢) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ٧٢

كتب عن تناهي الأنماط النحوية ، وعلاقة علم اللغة بعلوم النفس والمنطق والذكاء الصناعي في إطار برمجة الحاسبات ، كما ربط بين بنية اللغة من جهة والرياضيات والحاسب الآلي من جهة أخرى ، وأفاد علماء الحاسبات من فكرة توليد الجمل . (1) وأمدهم برؤية عملية لآليات النظام اللغوي .

لقد ظهر أثر تنوع مصادر تشومسكي الفكرية في جميع المبادئ والفروض التي وضعها ملتزماً بالدقة الصارمة التي وضعت على أساسها القواعد الرياضية.

مبادؤه وأفكاره الرئيسية :

اعتمد تشومسكي في تأسيس نظريته على عدد من المبادئ والفرضيات لطرح الإشكاليات ومعالجتها ، ثم تعديلها وفق مقتضيات التطور وآلياته ، أهمها:

١- إن اللغة هي أفضل مرآه تعكس بصورة دقيقة وأمينة آليات التفكير في عقل الإنسان، وأن دور الجماعة هو تخصيص النظام اللغوي المكتسب، وهذه هي نقطة التلاقي بين علم النفس وعلم اللغة ، وبناء عليها ذهب بعض اللغويين الأمريكيين إلى أن علم اللغة هو أهم مجال يكشف عن إنسانية الإنسان ، وتعد مصدراً من مصادر البحث في علم النفس . (2)

٢- مفهوم التحويل : (3) يعد هذا المفهوم مفتاح نظرية تشومسكي مع أنه ظهر أولا لدى هارس بمعنى مختلف ، كما أشرنا من قبل ، وتقوم الفكرة المركزية عند تشومسكي على أنه بتطبيق مجموعة من القواعد المحدودة - كالحذف والإضافة (الزيادة) والاستبدال وتغير الموقعية - على عدد محدود

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٤٣ ، ٤٤

(٢) المصدر السابق ٤٣

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٢٠٧ ، ٢٠٨ ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٥٧

من الجمل الصحيحة الأساسية (النواة) يمكن الحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة، وبمعنى آخر يمكن توليد عدد من جمل النفي والاستفهام ([1]) والمبني للمجهول من جملة أساسية (أو - الجملة نواة - التي تمثلها الجمل الإخبارية المثبتة) بإجراء عدد من التحويلات عليها .

٣- القدرات الفطرية والنموذج الذهني ([2]) "Mentalistic model" يتبنى تشومسكي فكرة وجود نموذج ذهني لدى الأطفال عند ولادتهم ، وهو عبارة عن آليات وقدرات لغوية غريزية تنمو من خلال تفاعل مع البيئة المحيطة أثناء مرحلة الطفولة، هذه القدرات تساعدهم على تقبل واكتساب المعلومات اللغوية وتخزينها وتكوين قواعد لغتهم الأم على مراحل متدرجة تصاعديا حتى تصل إلى حالة الثبات، التي يستطيع فيها الطفل صياغة وفهم جمل لامتناهية لم يتكلم أو يسمع بها من قبل وبناء على هذا الاعتقاد حمل تشومسكي على الطريقة التي يتعلم بها الطفل اللغة ؛فأوضح أن تعلم اللغة عند الطفل لا يخضع لمقياسي الذكاء والحافز ، لأن جميع الأطفال يتعلمون لغتهم الأم سواء بحافز أم بغير حافز، ومهما اختلفت مستويات ذكائهم . ([3])

وترتبط هذه الفرضية بفرضية أخرى تبناها السلوكيون ، تتحول اللغة بمقتضاها إلى عادة سلوكية (أشبه بطريقة الاتصال عند الحيوان) ، وهذا ما عبر عنه ب . ف سكينر B. F. Skinner ([4]) في كتابة (السلوك اللغوي Verbal Behavior)

---

(١) انظر تطبيق نماذج تحويلية في العربية على الاستفهام والنفي عند : د/ خليل عمايره ، في التحليل اللغوي ١٠٥ ، ١٥٥

(٢) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٩ د/ ميشال زكريا ، الألسنية "علم اللغة الحديث ٢٦٢

(٣) جون ميرل ، تشومسكي والثورة اللغوية ١٢٥

(٤) واحد من أبرز أساتذة علم النفس في جامعة هارفارد وأكثرهم إيمانا بالنظرية السلوكية

الذي عالج قضية اكتساب اللغة في إطار نظرية التعلم عن السـلوكيين (١).

لقد قوبل كتاب "سكينر" برد فعل عنيف من تشومسكي على المذهب السلوكي الذي يجنح إلى التبسط والمساواة بين الإنسان والآلة، ولا يفرق بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان - لأن الإنسان في رأى تشومسكي يتميز بالذكاء والتفكير واللغة أيضا - واستنتج أن اللغة ملكة فطرية تميزه عن الكائنات والأشياء الأخرى ، بدليل أن أكثر الناس غباء يستطيع الكلام ، بينما تفشل أكثر القرود ذكاء في تحقيق ذلك (الكلام) (٢)

٤- الإبداع Creativity (٣) : هو إحدى الإمكانيات اللغوية عند الإنسان ، وهي تعد فكرة جوهرية في نظرية تشومسكي ، يتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحية ، حيث يستطيع أبناء اللغة الواحدة إنتاج وفهم عدد لا محدود من الجمل التي لم تسمع أو تقال من قبل ، وهي تختلف عن فكرة الإبداع في النماذج الأدبية ، وقد كانت هذه الفكرة من الأفكار المسلم بها لدى ويلهلم فون هامبولت ودي سوسير ، ولكنها اختفت تحت سطوة النظرية السلوكية ، ثم أعاد تشومسكي اكتشافها .

٥- البنية السطحية Surface structure والبنية العميقة Deep Structure (٤)

اعتمد تشومسكي على هذين المستويين لدراسة اللغة، بينما كانت المدرسة البنيوية تركز على المستوى السطحي وحده ، ويرى تشومسكي في كتابه

(١) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ٢٠٨
(٢) Crystal ,Linguistics p.69 ، جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٩
(٣) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ٥٧
(٤) د/ عبد الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث ١١١ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية "علم اللغة الحديث" ٢٦٧

الثاني "مظاهر النظرية النحوية" (١٩٦٥) Aspects of the theory of syntax أن المستوى السطحي للجملة هو المستوى الذي يعنى بتحديد شكل الجملة وتنظيمها كظاهرة مادية ، أما البنية العميقة فهي البنية الدلالية أو التي تعنى بالدلالة ، وتحتوى على عدد من الجمل الأساسية القابلة للتحويل إلى جملة البنية السطحية (١) .

٦- التميز بين الكفاءة اللغوية (competence) والأداء الكلامي (performance).

حرص "تشومسكي" في كتابه "التراكيب النحوية" على الفصل بين الجمل التي تنتجها القواعد النحوية (اللغة)من ناحية وبين عينة الجمل (sample)التي ينطقها الأفراد في ظروف الاستعمال اليومي من ناحية ثانية ، ثم طور هذين المفهومين تحت مصطلحي الكفاءة والأداء (٢) .

حيث يقصد بالكفاءة أو القدرة :نظام اللغة الكلي في ذهن أبنائها ،ويتمثله الأفراد جزئيا أو ضمنيا، وهي ملكة خاصة بأبناء اللغة الذين نشأوا وشبوا في بيئتها .

ويقصد بالأداء الكلامي :طريقة تنفيذ الفرد واستعماله للغة كهدف للتواصل في المواقف المختلفة ،وبمعنى آخر فإن الكفاءة تجسيد كامل لنظام اللغة عند جميع الأفراد في الجماعة اللغوية.

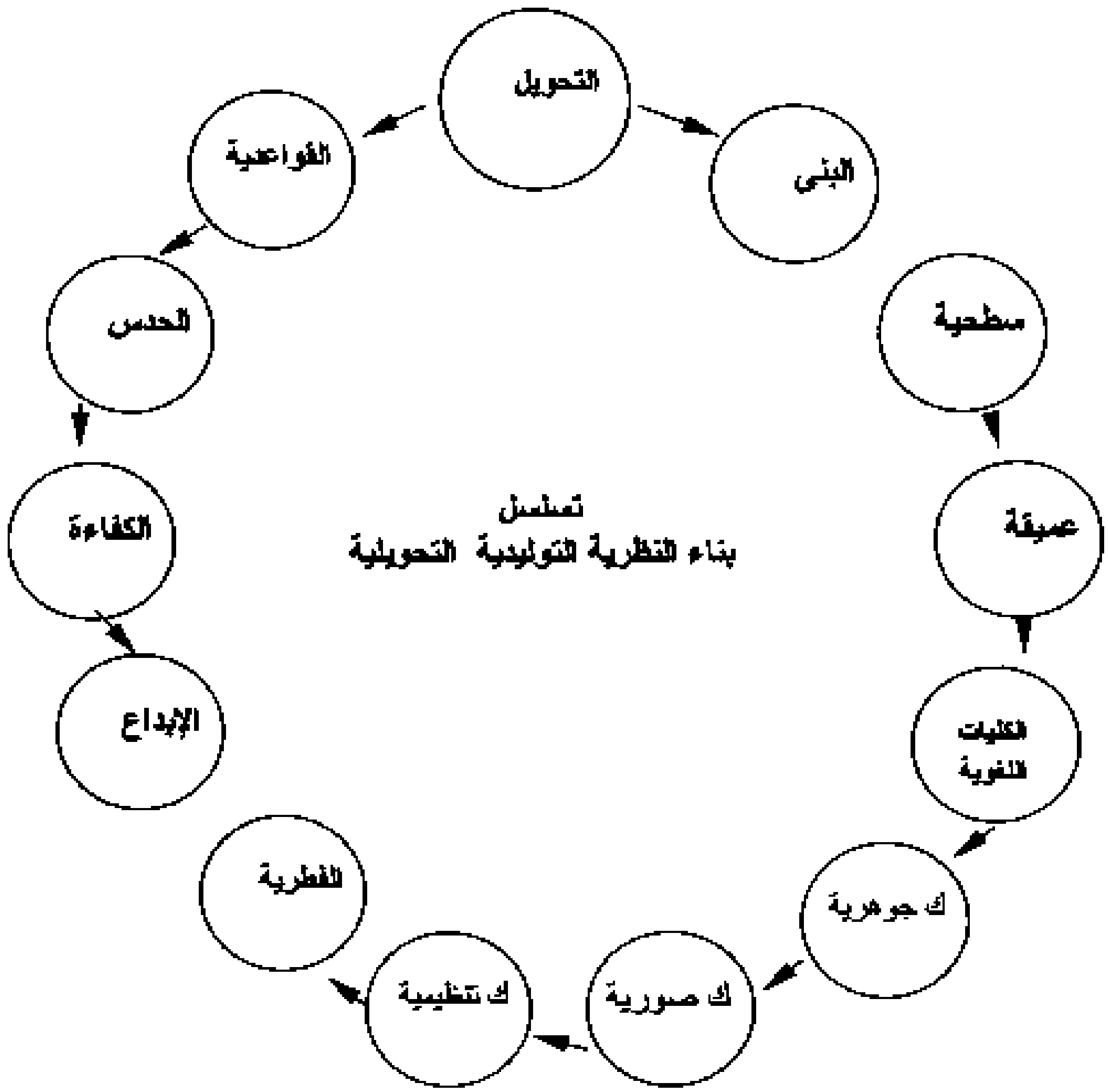
(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٢٠٨
مثال لكيفية التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية :
١ -خلق الله غير المنظور العالم المنظور ٣ -الله غير منظور
٢ -العالم منظور ٤ -خلق الله العالم

(٢) جون ليونز ،نظرية تشومسكي اللغوية ٧٧،٧٨ ، جودث جرين ،علم اللغة النفسي ١٢١ ، ١٢٢

٧- الكليات اللغوية ([1]) :تمثل القواعد الكلية في هذا الفرض أطرا هيكلية لبناء القوانين التي تخضع لها قواعد اللغات عامة ،وهي تتضمن بصورة أساسية الشروط التي يجب توفرها لصياغة قواعد اللغات ، أي تُبنى القواعد الكلية على مجموعة من الضوابط المجردة والعامة التي تخضع لها بالمشاركة مع القواعد الخاصة .

يتبين لنا مما سبق حرص تشومسكي الدائم على نقد الكتب والأفكار ذات التأثير للتوصل من خلال مواقفه الفكرية إلى نظريته في اللغة عبر تسلسل القضايا ،فقد أرشدته قضية (التحويل) إلى مفهوم البنية أو البني ،ومن ثم التمييز بين البنية الشكلية والبنية الدلالية (أي البنية السطحية والبنية العميقة)، وأدى التفكير في قضية البنية العميقة إلى التوصل إلى مفهوم الكليات الجوهرية والصورية والتنظيمية ،وهذه الشموليات جعلت تشومسكي لا يجد لها تفسيرا سوى من خلال فرضية الفطرية والنموذج الذهني وفي الاتجاه المعاكس قاد التحويل إلى مفهوم (القوا عدية) التي تعتمد بشكل ملزم على حدس المتكلم واتصل حدس المتكلم بمفهوم الكفاءة ثم الإبداع كما نتصوره في المخطط التالي :

(١) د/ميشال زكريا ، الألسنية ،علم اللغة الحديث ٢٦٣ ، ٢٦٤
قسمت الكليات اللغوية إلى ثلاثة أنواع :
أ - كليات جوهرية هي مجموعة فئات مميزة كالاسم والفعل والأداة
ب - كليات صورية تعنى الشروط والضوابط المشتركة بين اللغات
ج - كليات تنظيمية تعنى بكيفية ارتباط القوانين وتداخل القواعد.



هـذا التسلسل في بناء نظرية تشومسكي يعد - في رأيي - حلقة متصلة من المفاهيم اللغوية.

وإذا نظرنا إلى النحو التحويلي الذي تناولناه بالشرح فيما سبق، نجد أنه قد وضع في ثلاثة نماذج لوصف اللغة وهي :

١ - حالة القواعد النحوية .

٢- قواعد تركيب أركان الجملة .

٣- قواعد النحو التحويلي

وقد عرض "تشومسكي" ثلاثة نماذج للنحو التوليدي في مؤلفه (التراكيب النحوية)، نبسطها في : (١)

الأول : نموذج القواعد النحوية المحدودة Finite state grammar

يعتمد هذا النموذج على قاعدة تقول: إن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمين.(في الإنجليزية وما شابهها، والعكس من ذلك في العربية)، لأن اختيار العنصر الأول يساراً يفرض اختيار عنصر آخر يناسبه وهكذا لاحظ :

This man has brought some bread

ومثاله من العربية :

هذا الرجل اشترى بعض الخبز

فإن تصدير الجملة بـــ This أو (هذا) يفرض اختيار اسم يجوز وقوعه بعد الإشارة مثل man أو الرجل ، وكذا العنصر الثالث في السلسلة "has" والفعل (اشترى) وإذا استبدلنا These بـــ This فإن هذا التغير يفرض اختياراً آخر ، كما يحدث ذلك أيضا إذا استبدلنا "هؤلاء" بـــ "هذا" . وهذا الجهاز يستطيع إنتاج جمل محدودة فقط .

(١) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية ١٠٢ وما بعدها، ١١٢ وما بعدها، ١٣٥ وما بعدها .

وبناء على ما سبق فإن النحو عبارة آلة ، أو جهاز يعمل على توليد الجمل من المفردات من البداية حتى النهاية .

الثاني: نموذج قواعد تركيب أركان الجملة Pharse Structure grammar.

يهدف هذا النموذج إلى تحليل الجملة حتى تصل إلى عناصرها الأولية باستخدام الترتيب الطولي، وهذا النوع من التحليل هو ما يسمى بتحليل المكونات المباشرة عند البلومفيلديين .

قواعد النموذج :

١- الجملة (S) ← مركب اسمي NP+ المركب الفعلي VP

٢- المركب الاسمي NP ← أداة التعريف T+ اسم N

٣- المركب الفعلي VP ← فعل V+ مركب اسمي NP

٤- أداة التعريف T ← الـــ The

٥- الاسم N ← (حصان ، شجرة .... Horse , Tree)

٦- الفعل V ← (يأكل ، ينام .... eat , sleep)

ويتميز هذا النموذج بقدرته على تحليل أي عدد من الجمل .

وتشتمل كل قاعدة من القواعد الست على :

س ← ص

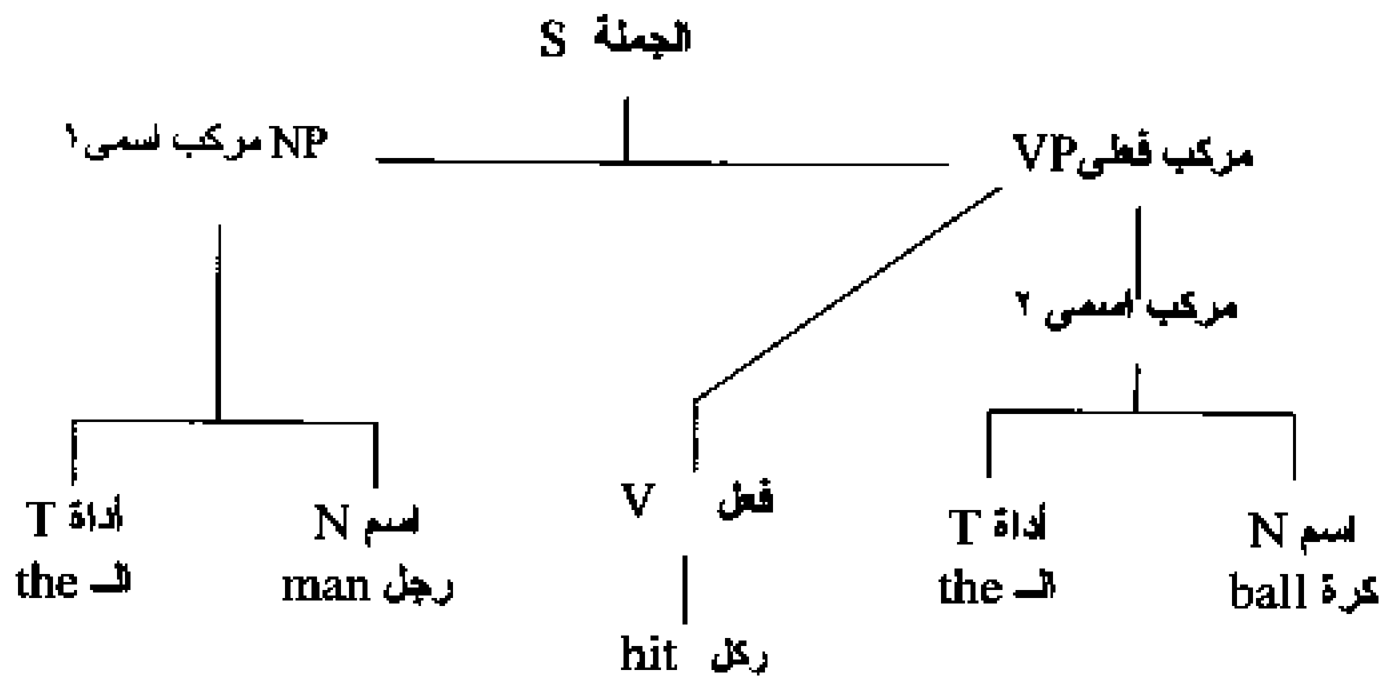
حيث ترمز (س) إلى عنصر مفرد Signal element ، وترمز (ص) إلى سلسلة مركبة String Cosseting من عناصر متعددة (وربما كانت عنصراً واحداً) .

← السهم يرمز لعملية إعادة الكتابة

.... النقاط ترمز لمزيد من العناصر .

نبدأ بتحليل الجملة: ركل الرجل الكرة أو The man hit the ball . باعتبار الجملة عنصراً فإننا نطبق القاعدة رقم (١) .

التحليل حسب المخطط الشجري (Tree diagram)



وهذه العناصر التي توجد أسفل الصورة النهائية للتحليل تسمى سلسلة العناصر الدائمة.

الثالث : نموذج القواعد التحويلية:

يقوم هذا النموذج على ثلاث قواعد رئيسية ، وتحتوى كل منها على مجموعة من القواعد الفرعية ، وهى :

١ - القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة :

أجريت بعض التغيرات على قواعد النموذج الثاني للتغلب على بعض المشاكل التي واجهته عند التطبيق ، وهي بعد التعديل كالتالي :

١- الجملة Sentence ← مركب اسمي NP + مركب فعلي VP

٢- المركب الفعلي VP ← الفعل Verb+ مركب اسمي٢ NP

٣- المركب الاسمي NP

مركب اسمي مفرد NP (Sing)

مركب اسمي جمع NP (Pl.)

٤- مركب اسمي مفرد NP sing ← أداة تعريف T + اسم N

٥- مركب اسمي جمع P Pl. ← أداة تعريف T + اسم N+ علامة جمع S أو es

٦- أداة التعريف T ← الـــ The

٧- الاسم N ←(امرأة - بيت ...... (Women , House

٨- الفعل Verb ← فعل مساعد Aux+ الفعل V

٩- الفعل V ← (أعطى سأل .... (give , ask .....

١٠- Aux (Tensel)+ (M + (have + en) (be + ing) ←

الفعل المساعد (البنية / الزمان / الإعراب)

١١- زمن الفعل Tense ← مضارع/ ماضي Present , Past

١٢- Moods ← (Will , can , may , shall , must)

صيغ الفعل ← فعل مبنى للمعلوم - فعل مبنى للمجهول .....

لاحظ أن القاعدة رقم (١٠) لا تتفق مع تحليل العربية وكذا ما يتعلق بالأزمنة.

وتشتق الجمل المبنية لما لم يسم فاعلة من السلاسل العميقة بواسطة القاعدة الاختيارية التالية :

١٣ – مركب اسمي ١ NP1 + فعل مساعد Aux + فعل V + مركب اسمي ٢ NP2 ← مركب اسمي ٢ NP2 + فعل مساعد Aux + فعل الكينونة + مورفيم (en) + فعل V + مورفيم by + مركب اسمي ١ NP1.

The man may have opened the door

←

The door may have been opened by the man

وهذه القاعدة لا تناسب العربية ، لأن بناء الجملة لما لم يسم فاعله تتم عن طريق حذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل .

ويتطلب هذا التباين في تنظيم عناصر الجملة المبنية لما لم يسم فاعلة وضع نسق آخر يناسب العربية ، كما سنوضح في القواعد التحويلية .

٢ـ القواعد التحويلية (١)

هذه القواعد إما أن تكون قواعد إجبارية ، وإما أن تكون اختيارية ،

(١) نقلت هذه القواعد بتصرف من الباحث عن : – د/ صلاح الدين حسنين ، الدلالة والتراكيب ٢٣ ، ٢٤

ويـؤدى تطبيق القواعد التحويلية الإجبارية على السـلسلة الأساسية إلى تماسك بنية الجملة ، وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين :

١/ ٢ ـ القواعد المساعدة :

هذه القواعد معنية بطريقة اشتقاق صيغة الفعل وفق النظام التالي :

- فعل مبنى للمعلوم ماض مبنى فتح - ضم - سكون
- فعل مبنى للمجهول مضارع معرب نصب - رفع - جزم

أولاً - صـيغة الفعـل ± مبنـى للمعلـوم ± ماضـي ± مبنى فَعلَ : سَأَل / سُئِل

يَفعَل : يَسْأَلُ / يُسألُ

ثانـياً- صـيغة الفعـل ± مبنى للمجهول ± مضارع ± مُعرب يُفعل: يمنحَ / يُطوىَ

فُعِل : مُنِح / طُوِىَ

ب/٢ـ قواعد الحساسية للسياق

تشتمل هذه القواعد على نوعين :

أولهما : قواعد التطابق

ويقصد بها القواعد التي تعنى بالتطابق بين الفعل والفاعل مثل :

* الفعل الماضي ← + تْ + مركب اسمي ١ مؤنث

ومعناها أن الفعل الماضي تلحقه تاء التأنيث الساكنة إذا كان الفاعل مؤنثا حقيقيا أو غير حقيقي نحو :

-ذاكرتْ الطالبَة / الطالباتُ جيداً مؤنث حقيقي مفرد / جمع

- أشرقت الشمسُ في الصبا حؤنث مجازى

* الفعل الماضي ← + × (1) + مركب اسمي - غير مفرد

ط أو مفرد مذكر

ومعنى القاعدة : إن الفعل الماضي لا يلحقه شيء إذا كان الفاعل مفرداً مذكراً أو كان الفاعل غير مفرد إذا تقوم عليه الفعل نحو :

- اجتهد الطالبُ في درسه .- لعب الشبابُ مباراة كبيرةً

ثانيهما : قواعد إسناد الإعراب

القاعدة : ١ (في حالة الرفع)

أ- المركب الاسمي ١ ← ـُ للمفرد / جمع التكسير / جمع المؤنث السالم

نحو : جاء التاجرُ / حضر الزملاءُ / ذهبتْ المهندساتُ

ب - المركب الاسمي ١ ← ان للمثنى .

نحو : انتقل الشيخان

(١) ترمز هذه العلامة على القيمة صفر

حـ - المركب الاسمي ١ ← ون لجمع المذكر السالم .

نحو : سمعَ المهذبون الحديث بهدوء.

القاعدة : ٢ (في حالة النصب)

أ- المركب الاسمي ٢ ← ـــــــــــــَ للمفرد / جمع التكسير

نحو : سلبَ اللص راتب الموظف

سحب التاجر أرصدته من البنك .

ب - المركب الاسمي ٢ ← ـــــــــــــــِ لجمع المؤنث السالم

نحو : قامت الفتاةُ بواجباتِها نحو أسرتها

حـ - المركب الاسمي ٢ ← ينَ جمع المذكر السالم

أعطى العمالُ التاجريْن أصواتهم

د- المركب الاسمي ٢ ← ين جمع المذكر السالم

نحو : كافأ النادي اللاعبين لفوزهم .

القواعد الاختيارية :

إذا طبقت القواعد الإجبارية على الجملة ، وأصبح لدينا جملة أساسية ، في هذه الحالة تطبق القواعد الاختيارية على الجملة المنتجة لاشتقاق الجمل التالية :

غَرسَ الطفلُ الوردَ

ـ قاعدة الاستفهام :

١ ٢ ٣ ٤

أداة الاستفهام + الفعل الماضي + المركب الاسمي ١+ المركب الاسمي ٢

أغرس الطفلُ الزرعَ ، (أو) هل ....

ـ قاعدة النفي :

١ ٢ ٣ ٤

أداة النفي + الفعل المضارع + م اسمي ١ + م اسمي ٢

لم يغرسْ الطفلُ الوردَ

ـ قاعدة النفي والاستفهام :

تتصدر أداة الاستفهام جملة النفي نحو : (ألم يغرس الطفلُ الوردَ ؟)

ـ قاعدة البناء للمجهول (سبقت):

غُرِسَ الوردُ

ـ قاعدة البناء للمجهول والاستفهام:

تتصدر أداة الاستفهام جملة المبنى للمجهول نحو : (هل غُرِسَ الوردُ ؟)

ـ قاعدة البناء للمجهول والنفي :

١ ٢ ٣

أداة النفي + الفعل المضارع (مبنى لما لم يسم فاعله) + مركب١ سمى ٢

نحو : لم يُغرس الوردُ

ـ قاعدة البناء للمجهول مع الاستفهام والنفي :

تتصدر أداة الاستفهام الجملة المنفية للمبنى للمجهول

ألم يُغرس الوردُ ؟

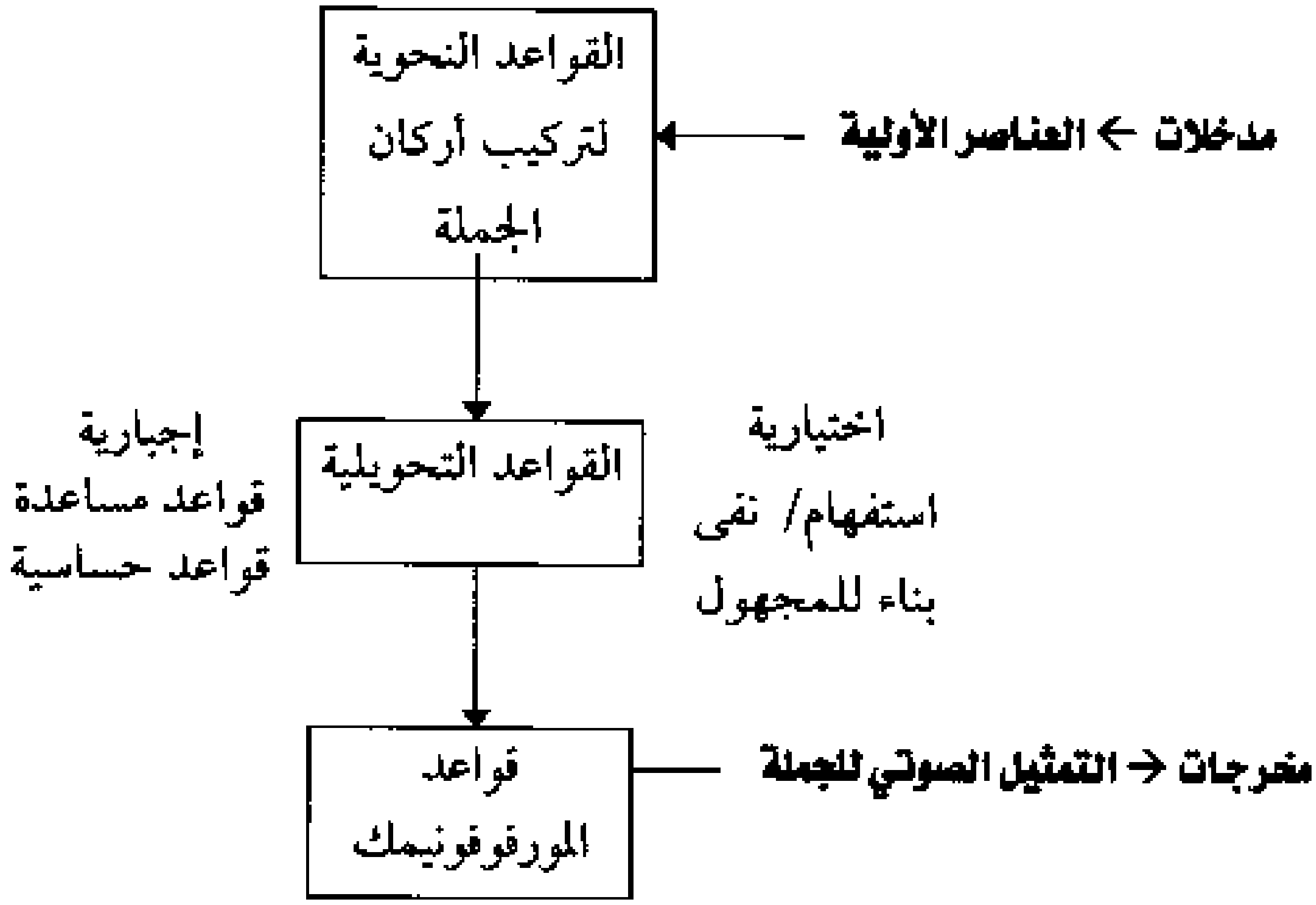
لاحظنا مما سبق كيفية تطبيق قواعد الاستفهام والنفي على الجمل المثبتة المبنية للمعلوم ، وتطبيقها أيضا على الجمل المبنية للمجهول (أو المبنى لما لم يسم فاعله) ، أما الجمل المركبة Compound Sentences، والجمل المعقدة Complex Sentences فإنها تولد بطرق العطف , Conjoining والدمج embedding. (1)

٢ـ قواعد المورفوفونيمك

تقوم هذه القواعد بتحويل الجملة من صورة الكلمات والمورفيمات إلى صورة كلمات ، وبالتالي تتضح المكونات المباشرة التي اشتقت منها هذه الجملة وتمثلها تمثيلا صوتيا.

و المخطط التالي يعبر عن الخطوات التي اتبعتها القواعد التحويلية في توليد الجملة واشتقاقها .

(١) جون ليونز ، نظرية تشومسكى اللغوية ١٥٢ : ١٥٤
وانظر : د/ خليل عما يره ، في التحليل اللغوي ١٠٥ : ١١٥



وهـذا لا يعنى – بطبيعة الحال – أن النظرية التوليدية التحويلية قد حظيت بقـبول أغلـب / أو معظـم الاتجاهـات اللغـوية المعاصـرة فيما طرحته من قضايا ، ولكـن علـى العكـس مـن ذلـك ، فإنها ووجهـت – وما تزال – بنقد شديد لبعض مبادئها وأفكارها لدرجة وصفها عند أحد اللغويين بأنها كانت نقطة تحول سلبية في تطور علم اللغة (اللسانيات) .(١)

(١) جفري سامسون ، مارس اللسانيات ١٧٢ ، ١٧٣

وتختلف قدرة كل نموذج على توليد الجمل في اللغات الطبيعية وحيث يتمتع النموذجان الثاني والثالث بقدرات خاصة لتوليد جميع الجمل .وتعد دراسات تشومسكي وأنصاره ، التي عنيت بالضوابط والحدود حول فكرة المكون التحويلي (1) من أهم الدراسات في الإطار العام للنظرية التحويلية لقدراتها على الصمود أمام الاختبارات النقدية وكفاءتها في تفسير الظواهر .

٢/د ـ التطورات القائمة على النظرية النموذجية لـ (تشومسكي).

بعد أن استوت نظرية "تشومسكي" في صورتها المثلى (تقريبا) في كتاب مظاهر النظرية النحوية تتابعت الشروح والتعليقات (2) من ناحية، كما قوبلت بالنقد بعض أصولها النظرية من ناحية أخرى .بعض هذه الأعمال يمثل إضافة وتوسعا في النظرية، وبعضها الآخر يمثل تحديا حقيقيا للنظرية .

وأظن أنه بنظرة واحدة في كتاب "جفري سامسون" يكتشف المرء كمّ المبادئ والفرضيات التي وجه إليها النقد في النظرية "التشومسكية" ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (3) .

أ- نظرية الكليات اللغوية .

ب- مبدأ استخدام الحدس intuition في الإجراءات الكشفية .

ج- قضية علم الدلالة التي بنيت على موقف تشومسكي من الحدس .

(١) للتفصيل انظر تشومسكي ،جوانب من نظرية النحو ١٢٩ ، ١٣٠ جون سيرل ، تشومسكي والثورة اللغوية ١٣٧ ، ١٤٠

(٢) لمعرفة مزيد من الشروح والتعليقات على نظرية تشومسكي انظر: Die Thearie chomskys في . S. 61 : 63 Karl Reichl, Englische Sprachwissenschaft

(٣) جفري سامسون ،مدارس اللسانيات ١٥١ :١٦٣

وإذا جاز لنا تتبع النظريات والآراء التي ساعدت تشومسكي على إجراء بعض التعديلات والشروح على نظريته في أصولها الأولية، وبعد ظهور النظرية النموذجية ،فإننا نبدأ بنظريتي كاتز وبوستال Katz Postal ، وكاتز وفودور K.Fodor اللتان بلورهما تشومسكي في قوانين المكون الدلالي ، حيث ضمت الدلالة والفونولوجيا ضمن مكونات النظرية . (١)

ورغم محدودية الأمثلة المعروضة ،إلا أن الهدف الرئيسي لفريق تشومسكي ظل ماثلا لا يغيب ،وهو وصف اللغة التي تتضمنها إبداعية المتكلم الأصلي بلغته (أي ابن اللغة) . واهتمت النظرية الثانية بصفة خاصة بتصميم أساس يميز بين الجمل المترادفة والشاذة والملبسة (الغامضة).

ومن النظريات التي تعد نموذجا مطوراً عن النظرية النموذجية أو النظرية الموسعة نظرية (القواعد النحوية المتكافئة) التي تقوم على فكرة التكافؤ (valency) وهو مصطلح مقترض من الكيمياء (٢)، يشير إلى قدرة تميز عنصرا من عناصر التركيب عن غيرها ، ولهذه الفكرة علاقة بالمفهوم التقليدي للمتعدى واللازم ،وهى نظرية قامت علي أسس متشابهة مع نظرية التبعية (٣).

وتعد نظرية العلاقات النحوية relational grammar من أحدث النظريات التي طرحها أنصار تشومسكي ،واكتسبت أهميتها الكبرى من عنايتها

(١) د/عبد القادر القاسى الفهرى ،اللسانيات واللغة العربية ١/ ٦٧ ، ٦٩ ، رهـ روبنز ،موجز تاريخ علم اللغة ٣٥٨

(٢) يقارن بمفهوم التكافؤ الذرى انظر: د/سعيد بحيرى ،عناصر النظرية النحوية ٨

(٣) جون ليونز ،نظرية تشومسكى اللغوية ١٧٧ ، د/سعيد بحيرى ،عناصر النظرية النحوية ٣وما بعدها.

بالعلاقات النحوية التي يشترك فيها المسند إليه (الفاعل) أو المفعول به المباشر أو غير المباشر ، ونظام ترتيبها وتسلسلها.

وتتميز هذه النظرية بقدرتها علي تكوين علاقات تحويلية بين الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية لما لم يسم فاعله ،على أساس أن التحويل يقلل من قوة الفعل (درجة تكافئة) وتتحول الحاجة إلى الفاعل من الحاجة الإجبارية إلى حاجة اختيارية .([1])

واستمرت جهود اللغويين من منطلقات نقدية مختلفة لبناء نظريات تتجاوز مثالب النظرية النموذجية لـ تشومسكي' وفي هذا الصدد يقول جون سيرل إن التصور الصوري ينهار إذا حاولنا تفسير الكفاية الدلالية أو المعنى، لأنه سيعجز عن تفسير الكفاية الدلالية.

والحقيقة إن خصوم تشومسكي بدأوا يعملون بالفعل في تطعيم دراسة التركيب بدراسة أفعال الكلام ،وسمى أتباع هذا الاتجاه بعلماء الدلالة التوليديين' ([2]) وهم الذين يمثلون التحدي الحقيقي لنظرية تشومسكي' في جانب من أهم جوانبها مما جعله يعيد النظر في العلاقات الدلالية كما ستوضح فيما بعد .

الفكرة المركزية لعلماء الدلالة التوليدية generative semantics. ([3]) تؤكد على أن البنية العميقة للجملة هي الصورة الدلالية لها، وهي التي تتحول إلى البنية السطحية بينما تفصل النظرية النموذجية بين البنية العميقة والتفسير الدلالي لها.

(١) المصدر السابق ١٧٨ .
(٢) جون سيرل ،تشومسكي والثورة اللغوية ١٣٩.
(٣) جروبر ،وفيلمور ، وجاكندوف

وتعد نظرية حالة الحالة (١) The case for case التي قدمها فيلمور C. J.Fillmore من النظريات التي أحدثت صدى واسعا لأفكارها، حيث اعتُمِد فيها على فكرة الحالة ، ويقصد بها: علاقة بين فعل واسم: كما أن هذه العلاقات تكون إما دلالية وإما تركيبية. والبنية العميقة في هذه النظرية التحويلية تنقسم إلى:

أ- بنية دلالية مكونة من محمول وموضوع أو أكثر .

ب- بنية معجمية تتكون من عناصر (فعل، اسم، ....)

والحالات النحوية التي يكشف عنها التحليل النحوي الحقيقي للجملة هي: الفعل ، المنفذ، الأداة، المتأثر، الهدف، المستفيد،...، وعلاقة المحمول (الفعل) بالموضوع تشير إلى دور دلالي معين .

الخلاصة :

إن هذه النظرية تنماز بإمكانياتها التطبيقية على اللغات المُعْرَبة كالعربية واللاتينية والألمانية ، ويلعب الفعل فيها دورا حيويا في بناء الجملة.

وفي نفس الاتجاه قدم "جاكندوف" تفسيرا آخر للتركيب الدلالي يقوم على أساس وجود قراءتين دلاليتين، إحداهما: مباشرة، والثانية مشتقة تنتج عن خرق في قواعد الاختيار التركيبية أو الدلالية أو المعجمية (٢) .

وقد أثرت أراء علماء الدلالة التوليدية في تشومسكي مما دفعه إلى تعديل بعض مبادئه الفكرية في نظريته النموذجية تحت مسمى النظرية النموذجية الموسعة حيث أصبحت البنية العميقة تتكون من بنيتين هما :

(١) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية ١٦٩

(٢) Norrick N. R, Semiotic principles in Semantic theory P. 9, 101, 102.

أ- الأساس بـ البنية الدلالية [1]

يتضمن الأساس مكونين : تركيبي ومعجمي، وفي البنية الدلالية تتحدد الأدوار بناء على علاقة المحمول بالموضوعات وأهم المفاهيم الجديدة التي طرحها تشومسكي في هذه النظرية هو مفهوم "الأثر" الذي يعرف بأنه عنصر معدوم من الناحية الصوتية غير أنه يدل على عنصر حذف أو نقل عن طريق التحويل .

ويرى "ليونز" أن التعديلات التي استجدت على النظرية الموسعة كانت بغرض تقليص عدد التحويلات وأدوارها في التفسير الدلالي [2] .

اتساقا مع هذا الهدف ، لم تحتفظ نظرية "تشومسكي" في أحدث صورها إلا بقاعدة تحويلية واحدة مقيدة بدرجة عالية هي: "حرك" أي حرك ما يمكن تحريكه في إطار القيود التي تفرضها بقية عناصر النظام [3] .

٢/هـ- التطورات القائمة على النظريات الأخرى (في الغرب)

رغم أن أبرز مدرستين في علم اللغة الحديث في النصف الأخير من القرن العشرين هما البلومفلديون والتشومسكيون قد استمرا في تطوير ودعم أفكار مؤسسيهما، إلا أن هذا لم يَفُت في عضد المدارس الأخرى وحفزها على تجديد مناهجها وأدواتها كما سنرى .

(١) ناعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو ٨٩ ، ١١٠ وبعدها
(٢) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية ١٩٨ ، د/ عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ٧٢/١
(٣) ر. هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣٦١

١ـ امتداد البنيوية :

في السنوات الأخيرة مال "هارس" إلى استخدام مصطلحات بنائية للإشارة إلى التحليل اللغوي الذي يتبع فيه الفكر البلومفيلدى وطور ك .ل. بايك K. L. Pike وفريق من الباحثين اتجاها متفرعا على تحليل المكونات المباشرة في قواعد بلومفيلد ، وسميت هذه النظرية بالنظرية التجميمية لأن التجميم Tagmeme ، هو وحدتها القواعدية الأساسية ويعرف التجميم بوصفة ارتباطا بين وظيفة قواعدية وطائفة من العناصر التي تحل محل بعضها تبادليا. فالمسند إليه (كتجميم) الذي يشغله الاسم، والمسند الذي يشغله فعل، والمفعول به الذي يشغل بالعبارة الاسمية تكون تركيبات أكبر كالعبارات والجمل ، والجمل تحلل إلى سلاسل متساوية ، وكل التجميمات تتعلق بالفعل بشكل متساو في معظم التحليلات التجميمية، بينما يكون المفعول به جزءا من المجموعة الفعلية عند تحليل المكونات المباشرة (¹) .

وعند تحديد "التجميمات" يؤخذ في الاعتبار كلاً من الوظيفة الدلالية والوظيفة النحوية ، وبما أن كل طائفة من العناصر الشكليَّة يكون لها معان محددة ، فإنه يمكن وضعها كمالئات للوظائف الدلالية والنحوية .

ويُعنى أنصار النظرية التجميمية بإجراءات الكشف "البنائية"، ويعزي إليهم دمج المصطلحات الدلالية في تكنيكاتهم الوصفية باعتبارها أوليات مثل المسند ، والمسند إليه ، والموقع ، والمستفيد .

ويمثل تطبيق هذه النظرية على لغات أمريكا الجنوبية والوسطى أقوى دليل على استمرار علم اللغة بالبومفليدى في عالم ما بعد "بلومفيلد" .

(١) المصدر السابق ٢٣٧ : ٢٤٧

ورغم هذه القرابة النظرية والمنهجية مع بلومفيلد ، إلا أنهم يختلفون عنه بدورهم المشبوه في توظيف اللغة لأغراض تبشيرية على العكس من بلومفيلد الذي كان لا أدريا فيما يتعلق بالعقيدة. (١)

٢ـ امتداد الفيرثية :

كان اهتمام "فيرث" منصبا على سياق الحال بوصفه حجر الزاوية في قضية تحديد المعنى، وعلى الفونولوجيا لكونها حلقة الوصل بين القواعد والصوتيات .

امتدادا لهذا الاتجاه واستمرارا لمفاهيم "فيرث" اللغوية بنى "هاليداى" نظريته التي كانت تحمل اسم "علم اللغة الفيرثي الجديد" الذي يفسر نفسه بنفسه، وهو يقصد من وراء نظريته وصف نظرية فيرث في اللغة والتحليل اللغوي وفق مفهوم "هاليداى" واستكمال نظرية النحو والصرف التي لم تتضح في مؤلفات "فيرث" نفسه (٢) .

فعلم اللغة حسب مفهوم "هاليداى" عبارة عن نظام متسق ، ينفصل بصورة ما عن الأصوات من ناحية ، وسياق الحال من ناحية أخرى ، وإن كان هذا المفهوم قد تطور وتغير عنده في المراحل التالية .

الصوتيات		علم اللغة		
المادة	⟵⟶	الشكل	⟵⟶	
المادة الصوتية	الفونولوجيا	القواعد نظام مغلق	السياق	الحال
المادة المكتوبة	الهجاء	المعجم نظام مفتوح		

(١) المصدر السابق ٢٤٨

(٢) لمزيد من التفصيل : المصدر السابق ٣٥٠ : ٣٥١

وينظر اليوم إلى نظرية "هاليداي" بوصفها نظرية نظامية (أو تسمى بالقواعد النظامية) حيث تقوم قواعدها على أنظمة اختيارية عالية الدقة، بعضها وصفي وبعضها الآخر تاريخي ، ولكي تحقق اللغة أغراضها وتوصل أهداف مستخدميها وتحدد المستوى الثقافي لهم ، فإنها تتخذ أشكالاً شبكية تربطها الاختيارات .

٣ـ امتداد البراغية :

فيما يعد رد فعل ضد النظرية الخطية التوزيعية لبلومفيلد، قدم س.م. لامب S. M. Lamp نظرية عامة في التحليل اللغوي تتصل بعض أصولها بنظرية "مدرسة براغ" سميت نظرية القواعد الطبقاتية stratificational ، وهي التي تستعمل فيها القواعد بمعناها الأوسع لمعالجة التحليل الشكلي برمته ، كما هو الحال في النموذج التحويلي .

وتمثل المستويات المختلفة في النظرية مجموعة من الطبقات المفترضة من التركيب اللغوي على شكل شبكة من العلاقات ، فمستوى الدلالة تميزه وحدات المعنى التي تتصل بدورها مع الوحدات المعجمية المميزة ، ومع مستوى الفونيمات والمورفيمات ، ويتحقق هذا الاتصال على شكل تسلسل هرمي .(١)

وتظهر وحدات المعنى المميزة على صورة طبقة دلالية في التركيب اللغوي على النحو التالي:

حصان - يعدو - مذكر - مكان - مضارع

وعلى مستوى المعجم تكون الوحدات المعجمية المميزة مثل :

الـــ - حصان - يعدو - نحو - الـــ - مضمار

(١)المصدر السابق ٣٥٥ ، ٣٥٦

وعلى المستوى المورفيمي والفونيمي ، تكون المورفيمات سلسلة متتابعة كما تكون الوحدات الفونيمية سلسلة .

هذه الطبقات تتصل معاً بصورة هرمية متماسكة ، حيث يمثل المستوى المعجمي مستوى الوحدات الدلالية ، ويمثل المستوى المورفيمي المستوى المعجمي.... وهكذا يمثل المستوى الفونيمي المستوى الأعلى أي "المستوى المورفيمي" .

ومازالت النظريات والطروحات تتفاعل معا للكشف عن القوانين المنظمة للأنحاء الخاصة والنحو الكلي ، كما تحظى نظرية الدلالة بعناية فائقة ، وكذا كل ما يتعلق من هذه القوانين بالبعد المعرفي في نظرية اللغة .

ومن أهم الأعمال في هذا الاتجاه "المعرفة اللغوية "طبيعتها وأصولها واستخدامها" لناعوم تشومسكي" . ([1])

وقدم "جاكندوف" مفهوم القيد المعرفي في نظرية الدلالة التصورية (١٩٨٣) الذي يفسر الإدراك وعلاقته بالسلوك اللغوي .

وفي عام (١٩٨٤) وضع "فيلمور" نظرية الأطر الدلالية" التي تستخدم وسائلها في تحديد طبيعة المعلومات في المداخل المعجمية وسبب وجودها وكيفيته . ([2])

وفيما يتعلق بتطور نظريات التركيب ، فإن النظرية النموذجية والنموذجية الموسعة والصياغات المستحدثة عليها ، تشغل المرتبة الأولى من حيث كم الكتب

(١) تناول تشومسكي في هذا الكتاب عددا من القضايا أهمها :النحو الكلي وتحوله من صورة أنظمة من القواعد إلى نموذج مؤلف من مبادئ وبارامترات تحددها التجربة (٢٧٥ - ٢٧٦) وعرض فيه نظريات الحالة والربط والثيتا والسين البارية .لمزيد من التفصيل انظر : ناعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ١٩٨ : ٢٧٠

(٢) لمزيد من التفصيل : جورج لايكوف وآخر ، الاستعارات التي نحيا بها ٤ : ٦

والإصدارات التي تعالج النظريات التشومسكية ، وفي الدرجة الثانية من حيث الأهمية تأتي نظرية التوليد الدلالي ، ثم النحو العلاقي والنحو الوظيفي ونحو الكلمة (المفردة) . (١)

ويمكننا بشكل عام تقسيم النظريات اللغوية المعاصرة التي تعالج وظائف اللغات الطبيعية إلى مجموعتين هما :

أ-نظريات صورية ب-نظريات وظيفية .

تضم مجموعة النظريات الصورية كل النظريات اللغوية التي تعد فيها اللغة الطبيعية نسقا مجردا ، بينما تضم مجموعة النظريات الوظيفية جميع النظريات التي تسمى "pragmantax" البراجما نتاكس التي تعد آخر تطورات نظرية الدلالة التوليدية ،والنظرية الوظيفية ، والنحو الوظيفي الذي يتبناه "سيمون ديك "S.dik"

ويرى أحد المحدثين (٢) أن النحو الوظيفي Functional grammar الذي ظهر مؤخرا أكثر ملاءمة في معالجة الظواهر اللغوية، ويمتاز عن الأنحاء الأخرى بتعدد مصادره وتنوعها ، فقد أدمجت فيه بعض مبادئ النحو العلاقي ، ونحو الحالة ،والنظرية الوظيفية لتكوين نموذج صوري واحد ، صيغ حسب مقتضيات النمذجة في بناء النظريات اللغوية الحديثة .

٤ ـ أثر اتصال علماء العربية بالفكر الغربي

كان للتطورات المتلاحقة في النظريات اللغوية الغربية – في القرن

(١) لمزيد من التفصيل انظر : - karl reichl, Englische sprachwissenschaft S . 60 : 66

(٢)د/أحمد المتوكل ،الوظائف التداولية في اللغة العربية ٩

العشـرين – آثارا لا يمكن تجاهلها في الدرس اللغوي المعاصر للعربية ، بعضها يمثل جوانب سلبية ،وبعضها الآخر يمثل عناصر إيجابية في دراسة اللغة .

أخـذت علاقـة العـرب بعلوم اللغة الأوربية تؤتى ثمارها بعد عودة "رفاعة الطهطـاوي" مـن فرنسـا ،وتأليف كتاب بعنوان "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية" الـذي اتبع فـيه نمـط الفرنسـية في تألـيف الـنحو ،وامـتاز كـتابه بالعرض السـهل والعبارات البسيطة، واستخدم لأول مرة نظام الجداول الإيضاحية .(١)

ومـع أنـه يعد من رواد حركة إصلاح الكتاب النحو ى ، إلا أنه ظل أسيرا لنظرية النحو التقليدي .

وصـاحبت المحاولة التالية ظهور كتاب "إحياء النحو" (١٩٣٧م) (٢) للأستاذ إبـراهيم مصـطفى، الـذي تأثـر بـ"ابن مضاء" فتابع دعوته التي اعتمدت على مبدأين أسـاسيين هما :

أ- الـنحو هـو قانون تأليف الكلام ،ولايقتصر أبدا على ظاهرة الإعراب التي تظهر على أواخر الكلم.

ب- رفض الفلسفة الكلامية التي تتمثل في نظرية العامل وتوابعها .

ومن ثم فقد توصل إلى تصنيف أبواب النحو وفق المبادئ السابقة، وتوصل إلى أن حـركات الإعراب ليست أحكاما أو أثرا ، وإنما هي دوال على معانيها، وأن الفتحة مـا هـي إلا حركة خفيفة مستحبة عند العرب، وليست علامة إعراب ،كما أن المبتدأ ، والفاعل، ونائب الفاعل يجب أن تضم في باب واحد، لأنها تمثل المسند إليه .

---

(١) د/محمود فهمي حجازي ،علم اللغة العربية ٩٤

(٢) إبراهيم مصطفى ،إحياء النحو ٤٩ ،٥٢، ٧١

إذا كان لـرفاعة الطهطاوي دور الريادة في الاتصال بعلوم اللغة الغربية والاستمداد منها ، فإن إنشاء الجامعة الأهلية (١٩٠٨م) -وما استوجبه من استقدام المستشرقين للتدريس بها - يمثل رافدا أساسيا للاتصال بعلوم اللغة السائدة آنذاك، فقد كان منهج علم اللغة التاريخي المقارن للغات السامية هو الشغل الشاغل للمستشرقين (الألمان بصفة خاصة) في الشطر الأول من القرن العشرين وكان في طليعتهم أنو ليتمان وآخرون ، ويمثل هذا الاتجاه كتاب برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية الذي ألقى في صورة محاضرات كان لها تأثير كبير على دارسي العربية واللغات السامية ، كما بدأ جزئيا في آراء إبراهيم مصطفى .

وتتسم محاولة الدكتور مهدى المخزومي (1) باتباع المنهج العلمي الحديث في دراسة اللغة وتيسيرها. وأهم المبادئ والأفكار التي اعتمد عليها هي :

أ- النحو في الأصل دراسة وصفية تطبيقية .
ب- النحو علم متطور أبداً لأن اللغة متطورة أيضا.
حـ- اللغة ظاهرة اجتماعية يسرى عليها مايسري على المجتمع .
د- ضرورة الاعتماد على استقراء الظواهر النحوية .
هـ- النحو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من تطور .

الخلاصة : إن الدكتور المخزومي قد أدرك مستويات التحليل اللغوية الثلاثة (الصوتية- والصرفية- والنحوية) ، ولم يحدد المستوى الدلالي .

(١) د/ مهدى المخزومى ، في النحو العربي ١٩ : ٢٤ .

وجاءت آخر محاولات التيسير والإصلاح على يد الدكتور شوقي ضيف في كتابه تجديد النحو العربي، الذي اعتمد فيه على مبدأين هما : ([1])

أ - الاستغناء عن نظرية العامل.

ب- إلغاء التأويل والتقدير.

ولم تتجاوز محاولة التجديد تلك إعادة تصنيف وتنسيق أبواب النحو وفق المبادئ التي طرحها ، فقد كانت في إطار النظرية التقليدية للنحو .

بالتوازي مع حركة الإصلاح والتيسير، برز تيار آخر ينظر إلى العربية في ضوء علاقتها بالحضارة الغربية الحديثة ينقسم هذا التيار إلى فريقين هما : ([2])

١- أنصار تطوير الفصحى.

٢- أنصار تبنى العامية بديلا للفصحى.

تزعَّم الدكتور محمد كامل حسين أنصار تطوير الفصحى إلى ما يسمى بالفصحى المخففة- كنموذج جديد- أو الدعوة إلى التزام الواقع اللغوي ، بينما ذهب سلامة موسى في مغالاته إلى الدعوة بتبني العامية ، أو إحلال الحروف اللاتينية محلها في الكتابة . وأظن أن هذه الدعوة لا تخلو من سوء الطويَّة إذ كانت ترى في العامية بديلاً للفصحى، وهو ما لا نقبله .

ولعلنا لا نتجاوز حدود الواقع إذا تراءى لنا أن ما قدمه الدكتور إبراهيم أنيس للدراسات اللغوية العربية والسامية يعد الأبرز والأنضج بين كل المحاولات

(١) د/ شوقي ضيف، تجديد النحو العربي ١١: ٢٣

(٢) د/ حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي ٨٥، ٨٦

السابقة والمعاصرة له. فقد تناولت مؤلفاته كل مستويات الدراسة اللغوية من أصوات وصرف وتركيب ودلالة .

ففي كتابه الأصوات اللغوية ([1]) قدمت لأول مرة دراسة متكاملة للأصوات العربية ، اتُبعت فيها مناهج البحث الحديثة ، ففرق فيه بين مصطلحي الفوناتيكى Phonetics والفونولوجي Phonology فيما يعد اتجاها وصفيا في دراسة الأصوات .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنه من العسير الفصل بين الفونولوجي والفوناتيك على المستوى الوصفي ، فهما يتشابهان إلى حد بعيد ، ويبدو أنه يفضل عدم الفصل بينهما ، مع أن اللغويين المعاصرين يعّرفون الفونولوجي بأنه علم يعنى بدراسة البنية الصوتية للغة ما وتصنيف تلك الأصوات حسب وظيفتها .

إن معالجة الدكتور إبراهيم أنيس للأصوات اللغوية سارت وفق منهج الدراسات الحديثة، واتسمت بالوضوح والشمول ، ولم يكن كتابه في اللهجات العربية أقل حظا مما سبقه- رغم بعض التحفظات التي أحاطت به وربطته بدعاة العامية ، وهو في رأينا دراسة جادة للجهات - فقد اتبع فيه أحدث النظريات العلمية في دراسة اللهجات ،واستعرض فيه المستويات الفونولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية للهجات العربية ، وتعد دراسة الدكتور إبراهيم أنيس لقضية المعنى في كتابه دلالة الألفاظأول دراسة مستقلة باللغة العربية لقضية الدلالة، باعتبارها الهدف المحوري والنهائي للتحليل اللغوي .وقسمت الدلالة في هذا الكتاب إلى أربعة أنواع: ([2])

١-دلالة صوتية ٣-دلالة نحوية

(١) د/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٤، ٥

(٢) د/ إبراهيم أنيس ،دلالة الألفاظ ٤٦: ٥١، ١٠٦ ..

٢-دلالة صرفية ٤-دلالة معجمية / اجتماعية .

وتناول فيه فضلا عن ذلك قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقوانين التطور الدلالي .

وعقب ذلك جاء جيل ثان من الرواد،ينتسبون إلى المدرسة اللغوية اللندنية ،فكان لهم جهود أخرى أثرت الدراسة اللغوية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين -هم: الدكتور عبد الرحمن أيوب ، والدكتور تمام حسان ، والدكتور كمال بشر والدكتور محمود السعران - برغم اختلاف تناولهم للنظرية اللغوية الحديثة بين الوصفية والبنيوية والنظرية اللغوية الحديثة .

إلا أنه يمكن التميز بين توجهاتهم - حسب رأى الدكتور حلمي خليل - إلى تيارات ثلاثة ([1]) .

١ ـ الوصفية ونقد التراث

ظهرت بوادر هذا الاتجاه النقدي المباشر في كتاب " دراسات نقدية في النحو العربي "للدكتور عبد الرحمن أيوب" تبنى فيه وجهة النظر الأوربية الحديثة" السوسورية" في مقابل الدراسات العربية القديمة "التقليدية" للغة.

ويستند الدكتور أيوب في نقده على مبدأ الإحلال ، حيث يعتمد على استخدام منهج التحليل الشكلي بدلاً من منهج التحليل الجزئي للغة (أي - المنهج السائد قبل ذلك) .

(١) لمزيد من التفصيل انظر : د/عبد الرحمن أيوب ، دراسات نقدية في النحو العربي - الانجلو المصرية د/ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها. اللغة بين المعيارية والوصفية، د/كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ، د/حلمي خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي ١٦٧ : ٢٤٦

وبالتالي فإن منهجه اللغوي ينهض على دعامتين هما :

١- الوصفية الشكلية

٢- الموضوعية

وهما الدعامتان التي تفتقدهما الدراسات التقليدية .

والتحليل البنيوي الذي يعد قاسماً مشتركا بين معظم المدارس اللغوية الحديثة، يتوسل بآليات التحليل إلى أصغر عنصر لغوى (الفونيم) بحثا عن الشبكة العلاقية التي تنتظم أجزاء الكل ، وتتوزع عناصر الجملة طبقا لوظيفتها .

إن مذهب الدكتورأيوب يرفض المعيار الدلالي في تقسيم الكلام، كما رفض علل البناء و الإعراب التي تقوم على مبدأ القوة والضعف، واعتمد منهجه الشكلي في التقسيم، والذي بنى على أساس وظائف العناصر اللغوية، ويرى أيضا أنه ينبغي الفصل بين الجملة كأمر واقعي والجملة كنموذج قياسي للجملة الواقعية .

ومع أن هذه الدراسات أفادت التفكير اللغوي العربي المعاصر وأفادت من التفكير اللغوي الكلاسيكي ، إلا أنها اكتفت بالنقد ، ولم تقدم بديلاً حقيقياً وتطبيقياً يرقى به إلى مستوى النظريات الدقيقة والمضبوطة .

ويكتمل هذا التيار الوصفي والنقدي بدراسة الدكتور تمام حسان في كتابة اللغة بين المعيارية والوصفية فكما يتضح من عنوان الكتاب، يميل الدكتور تمام إلى نعت الدراسات اللغوية القديمة بالمعيارية Perspective في مواجهة المنهج الذي يتبناه ويدعو إليه ، وهو الوصفية Descriptive.

فالفكر اللغوي العربي القديم حسب رأى الدكتور تمام ينقسم إلى مجموعتين :

١- المجموعة الوصفية : يمثلها كتاب سيبويه ،وكتابا عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة".

٢- المجموعة المعيارية : يمثلها جميع كتب النحو والصرف والبلاغة.

وقد ميز الدكتور تمام بين استعمال اللغة كوظيفة للمتكلم ، والبحث اللغوي كوظيفة لعالم اللغة الذي يعتمد على استقراء الظاهرة لوصف الواقع اللغوي .

والمعيارية في مفهومه بإيجاز هي الاعتماد على القياس والتعليل في حالة الثبات اللغوي مع إغفال الحقيقة الاجتماعية في تحليل اللغة .

تطبيــــق :

في قوله تعالى (إذا السماءُ انشقت)

إذا قلنا إن هناك فعلاً محذوفاً يفسره الفعل الموجود ......

هل يُعد هذا التفسير من الوصفية ؟ .. بالطبع لا

لماذا ؟

لأن التقدير النحوي هنا لاسند له ، وإنما هو محاولة لتبرير الحركة الإعرابية للحفاظ على القاعدة النحوية .

٢ ـ التحليل البنيوي

واكب هذا الاتجاه ظهور المنهج الوصفي في دراسة اللغة ، لأن معظم الوصفيين اتبعوا منهجاً بنيويا في تحليل اللغة ، وأهم الكتب التي تناولت مستويات التحليل اللغوي "مناهج البحث في اللغة" للدكتور تمام حسان، وكتاب "علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي" للدكتور محمود السعران .

فمستويات التحليل عند الدكتور تمام هي[1] :

١- مستوى الأصوات .
٢- مستوى التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)
٣- مستوى الصرف .
٤- مستوى النحو
٥- مستوى المعجم
٦- مستوى الدلالة .

والفصل بين مستوى المعجم ومستوى الدلالة من أهم ما يميز منهج الدكتور تمام حسان عن غيره ممن اعتبروا أن الدراسة المعجمية ذات صلة قوية بالدراسة الدلالية .

أما كتاب الدكتور "محمود السعران" فيتميز بالبساطة والوضوح، اهتم فيه صاحبه بالإطار التاريخي لعرض أصول النظرية الوصفية البنيوية، فهو يرى أن اللغة كظاهرة اجتماعية تحتاج إلى علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلمي التاريخ والجغرافيا.

وهذه العلوم لا تنتقص أبداً من أهمية دراسة اللغة موضوعيا، ولا مانع من وجود نظرة فلسفية في اللغة شريطة أن تكون مستمدة من داخل اللغة حتى لا تُفقد علم اللغة استقلاله وموضوعيته .

٣ ـ تطبيق النظرية اللغوية الحديثة :

يعد كتاب الدكتور تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها" هو المحاولة

(١) انظر : د / تمام حسان ، العربية معناها ومبناها ٣١ وما بعدها .

الوحيدة الجادة والمتكاملة لتطبيق نظرية السياق التي طرحها فيرث على اللغة العربية.

ويوصف هذا العمل بأنه إعادة تقويم للدراسات السابقة ، وإعادة ترتيب لأبواب النحو والصرف التقليدي ، أما إذا قيس هذا العمل بما قدمه سيبويه فإننا نستطيع القول بأن سيبويه وضع أصول النظرية اللغوية في استعمال محدد هو كلام العرب في زمن معين ، ولدى قبائل معينة . بينما يعد تناول الدكتور تمام حسان محاولة تطبيق معطيات علم اللغة الحديث على الدراسات التقليدية السابقة .

وموجز ما عرضه الدكتور تمام حسان في كتابه يوضح أهمية المعنى في دراسة اللغة سواء أكانت فصحى أم عامية ، وكيف يرتبط المعنى بالشكل أو المبنى ، وهو بهذا يعارض المدرسة الشكلية التوزيعية التي يقوم تحليلها على أساس شكلي خالص .

وتتوالى الأجيال وتتعدد الدراسات اللغوية في العالم العربي في اتجاهات شتى بعضها يساير آراء المدرسة الوصفية ،ويتبنى بعضها الآخر مبادئ البنيوية ،ويوغل آخرون في تبني نظريات تشومسكي أو غيره من أصحاب النظريات اللغوية المعاصرة ، ومن العسير أن يحكم المرء كشاهد عصر على التطورات المتلاحقة في مجال تسارع فيه الخطى وتتوزعه الاتجاهات إلا بعد تأن ودراسة قد تستهلك ما بقي لديه من رغبة في المعرفة .

خامسا : الخاتمـــة

ويمكننا بعد هذا العرض الموجز للقضايا التي عالجها البحث أن نطل في عجالة على أهم الملحوظات والنتائج التي توصلت إليها الدراسة التي بين أيدينا دون إسراف في العرض أو افتئات على ما قدمته البحوث الأخرى من ملاحظات قيمة :

١- أثبت البحث أن مسألة تعدد المصطلحات اللغوية لمفهوم واحد أو العكس تمثل ظاهرة تضرب بجذورها في التراث اللغوي العربي، وتمتد حتى الدراسات اللغوية المعاصرة في أوربا والعالم العربي ، وهي تمثل حجر عثرة في طريق البحث اللغوي نتيجة تداخل المفاهيم وتمكن اللبس.

٢- تشير الدراسة إلى أن المصطلحات اللغوية العربية والغربية قد خرجت من عباءة الفلسفة والمنطق قديما، ولم تعرف هذه المصطلحات طريقا لتحديد مفهومها من داخلها إلا مؤخرا.

٣- أثبتت الدراسة تأثير الكشوف الأثرية على تطوير علم اللغة في أوربا وأمريكا، ودور المؤلفات السنسكريتية في النحو واللغة على دراسة اللغة وصفيا بعد أن استقر المنهج التاريخي المقارن لحقبة طويلة من الزمن .

٤- تابع الباحث عن كثب وقوع الدراسات اللغوية المقارنة تحت تأثير القيد الدعائي الذي أكد أن العبرية هي أم لغات العالم، ثم انطلاق هذه الدراسات اللغوية بعد التخلص من سطوة هذه الفكرة الزائفة بتصنيف العبرية ضمن أسرة اللغات السامية .

٥- أثبت البحث أن نظرية تشومسكي النموذجية قد قامت في بادئ الأمر على أساس نقد المدارس اللغوية السابقة والمعاصرة لها، حتى توصل مؤسسها إلى بناء هيكل النظرية الذي يعتمد على المنطق العقلي والرياضي.

٦- أثبتت الدراسة أن نظرية تشومسكي النموذجية أو الموسعة ليست النظريات المثلى في معالجة النحو العام للغات المختلفة، أي أنها تناسب بعض اللغات ولا تناسب غيرها.

٧- أثبت البحث أن نظريات تشومسكي: ترجع في كثير من أصولها ومبادئها إلى أفكار وفرضيات المدارس اللغوية والفلسفية الأخرى، والتي استطاع تشومسكي استثمارها في رفد نظريته بأفكار متكاملة حول اللغة .

٨- لاحظ الباحث ثمة دوراً أساسيا لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجي على تطور علم اللغة، وأن هناك دورا لا يمكن تجاهله لعلوم الحاسب الآلي في الإفادة من منجزات علم اللغة لإنجاز الترجمة الآلية والعكس بالعكس ، كما استفاد علم اللغة بفروعه المختلفة من التقدم التكنولوجي باستخدام أحدث الآلات لرصد التغيرات الصوتية .

بعد هذا العرض لموضوع تطور علم اللغة واتجاهاته المعاصرة ، آمل أن يكون التوفيق حليفي في اقتراح وتناول عناصر البحث بصورة بناءة ومفيدة .

والله من وراء القصد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

المؤلف

سادسا: ثبت المصادر والمراجع:

* المصادر والمراجع باللغة العربية :

د/ إبراهيم أنيس من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٩٤م.

، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ط٣ ، ١٩٧٦ م.

إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧ م.

إدريس نقوري ، مدخل إلى علم الاصطلاح، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧ م.

إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: د/ محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م.

ابن الأنباري (أبو البركات) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل، دار نهضة مصر .

ابن جني (أبو الفتح عثمان) الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م .

سر صناعة الإعراب، تحقيق د/ حسين هنداوي، دار العلم، دمشق . ط ١ ، ١٩٨٥م.

ابن خلدون (عبد الرحمن) مقدمة ابن خلدون، دار الفكر ، القاهرة د.ت.

ابن السراج (محمد بن سهل) الأصول في النحو، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ٢ ١٩٨٧م.

ابن فارس (أبو الحسن أحمد) الصاحبي في اللغة، تحقيق: السيد صقر مصر . د.ت .

ابن مضاء القرطبي الرد على النحاة ، تحقيق د/ شوقي ضيف دار المعارف . ١٩٨٨ م.

ابن النديم (محمد بن اسحق) ، الفهرست، دار المعرفة ، بيروت - لبنان د.ت

د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط.٤ ١٩٨٢ م.

برجشتراسر (جوتهلف) التطور النحوي للغة العربية، نقلها د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي والرفاعي القاهرة ١٩٨٢م.

د/ تمام حسان ، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب . ١٩٩٢م

، الأصول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء . المغرب .

، العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٩٤م .

الثعالبي (أبي منصور) ، فقه اللغة وسر العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان د.ت .

جفري سامسون مدارس اللسانيات التسابق والتطور ، ترجمة : د/ محمد زياد كبه ، جامعة الملك سعود - الرياض السعودية . ١٩٩٧م

جودث جرين ، علم اللغة النفسي :"تشومسكي وعلم النفس" ترجمة وتعليق د. مصطفى التوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٣م

جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة الأستاذ / محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف ، ط-٤ . ١٩٧٩م

جورج لايكوف ومارك جونسن ، الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط . ١ ١٩٩٦م

جورج مونين علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة : د/ نجيب غزاوي ، الجمهورية العربية السورية . ١٩٧٢م

جون سيرل ، تشومسكي والثورة اللغوية ، مجلة الفكر العربي . ١٩٧٩م

جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة وتعليق د/ حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ط . ١ ١٩٨٥م

د/ حلمي خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٦م

حنفي بن عيسى ،محاضرات في علم النفس اللغوي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر . ط .٢ ١٩٨٠م

د/ خليل عمايره في التحليل النحوي ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن . ط. ١ ١٩٨٧م.

ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ترجمة د/ أحمد عوض ، عالم المعرفة . الكويت . نوفمبر ١٩٩٧م

د/ زاكيه رشدى وآخرون ، تاريخ الأدب السرياني ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة . د . ت

الزجاجي (أبو القاسم) الإيضاح في علل النحو ، تحقيق د/ مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ط . ٥ ١٩٨٦م

ستيفن أولمان دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د/ كمال بشر ، مكتبة الشباب

د/ سعيد بحيري ، عناصر النظرية النحوية ، مكتبة الانجلو المصرية ط . ١ . ١٩٨٩م

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) ، الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، الخانجي والرفاعي ، القاهرة د . ت .

السيوطي (جلال الدين) المزهر في علوم اللغة ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية . ط .٣ . د . ت .

د/ شوقي ضيف ، تجديد النحو ، دار المعارف ط . ٢ ١٩٨٢م

، المدارس النحوية ، دار المعارف ط . ٦. د. ت.

صالح الكشو ، مدخل في اللسانيات ، تونس ١٩٨٣م

د/ عبده الراجحي فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٢.

،النحو العربي والدرس الحديث، بيروت ١٩٧٩

د/ عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٩.

، دراسات نقدية في النحو العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٧.

د/ عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام . ١٩٨٢م

د/ عبد القادر الفاسي الفهري اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ط . ٣ . ١٩٩٣م.

د/ علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٤٥م .

ف . دي سوسير فصول في علم اللغة العام، نقله إلى العربية: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥م .

د/ كمـــال بشـــر ، علـم اللغـة الاجتماعـي، دار غـريب للطـباعة والتوزيع القاهرة د. ت .
ماجـــد فخـــرى أرسـطو ، الأهلـية للنشـر والـتوزيع بـيروت ط.٢ ١٩٧٧
ماريـــو بـــاى أسـس علـم اللغة ، ترجمة وتعليق : د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب . ط ٣ ١٩٨٧م .
د/ محمـد إبـراهيم البنا السـهيلي ومذهـبه الـنحوي ، دار البيان العربي ، جده ، السعودية . ط ١ ١٩٨٥م .
محمـد حسـن عبدالعزيز ، مـدخل إلى علم اللغة ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٨م .
محمـــد الحـــناش البنيوية في اللسانيات، الدار البيضاء ١٩٨٠م
د/ محمـــد عنانـــي المصـطلحات الأدبـية الحديـثة ، الشـركة المصـرية العالمية للنشر ، لونجمان ١٩٩٧م .
محمـــد غالـــيم ، التولـيد الدلالـي في الـبلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧م.
د/ محمـــود فهمـــي حجـــازي علـم اللغة العربية ، مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السـامية ، دار الثقافة د . ت .
، البـحث اللغـوي، دار غـريب للطـباعة والتوزيع. القاهرة د . ت
، الأسـس اللغـوية لعلـم المصـطلح ، دار غـريب ، القاهرة ١٩٩٣م
د/ مصـــطفى فهمـــي ، أمراض الكلام ، مكتبة النهضة المصرية .
د/ مهـدى المخزومـي في الـنحو العربـي قواعد وتطبيق ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي . ط . ١ ١٩٦٦م .

د/ ميشـــال زكـــريا الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان 1983م .
، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان .

ناعـــوم تشومســـكي المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها ترجمة د/ محمد فتيح ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط . 1 1993م

د/ نايـــف خـــرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، دار المعرفة ، الكويت ، 1979 م.

د/ نبـــيل علـــي ، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، إبريل ، 1994 م .

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

Bloomfield, Leonard, Language, London. George Allen and Unwin L.T. D. 1961.

Benjamin's PuB, John. Semantic Theories in Europe 1830 - 1930. bricitte Nerlich, 1992.

Chomsky, Noam, Aspects of the theory of Syntax, The MIT press Cambridge 1976 (11) .

Crystal, Daved. Linguistics, Penguin Books 1968.

Fasold, R. the Sociolinguistics of Society: Introduction to Sociolinguistics (volume 1). Oxford: Blackwell . 1984.

Halliday, M.C. Intoch and Stevens, the Linguistic Science. and Language teaching ELBS edition , London 1975.

Labov, W. Sociolinguistics patterns . Oxford: Blackwell. 1972.

Lakoff, G. Linguistics and national Logic. 1972.

Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge press, London. 1975 .

palmer, Leonard, Descriptive and Comparative Linguistics, London 1972.

Reichl, Karl, Englische Sprach- wissenschaft "Eine Bibliographie" Erich Schmidt verlag, Berlin 1993.

Robins, Ashort history of Linguistics, Longman, London 1967.

Robins, R H, General Linguistics, An Introductory Survey 3th Impression London 1960 .

Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language, Dilithium press, New York 1994 .